بسم الله الرحمن الرحيم

المكتب التنفيذي

سلسلة
الدراسات الإجتماعية والعمالية
(٢٥)

التنشئة الاجتماعية

بين تأثير وسائل الاعلام الحديثة
ودور الأسرة

بمناسبة السنة الدولية للأسرة 1994

إصدار
المكتب التنفيذي
لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتب التنفيذي

سلسلة
الدراسات الإجتماعية والعمالية
(٢٥)

التنشئة الاجتماعية

بين تأثير وسائل الاعلام الحديثة
ودور الأسرة

بمناسبة السنة الدولية للأسرة 1994

إصدار

المكتب التنفيذي

لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

حقوق الطبع محفوظة
يجوز الإقتباس من مادة الكتاب بشرط الإشارة إلى المصدر

الطبعة الاولى
١٩٩٤م

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي المكتب التنفيذي

المكتب التنفيذي
ص . ب : ٢٦٣٠٣ ـ المنامة ـ البحرين
هاتف : ٥٣٠٢٠٢ ـ فاكس : ٥٣٠٧٥٣ ـ برقياً : تنفيذ

سلسلة الدراسات الإجتماعية والعُمالية

سلسلة علمية متخصصة
تعنى بنشر البحوث والدراسات الإجتماعية والعمالية
بدول مجلس التعاون الخليجي

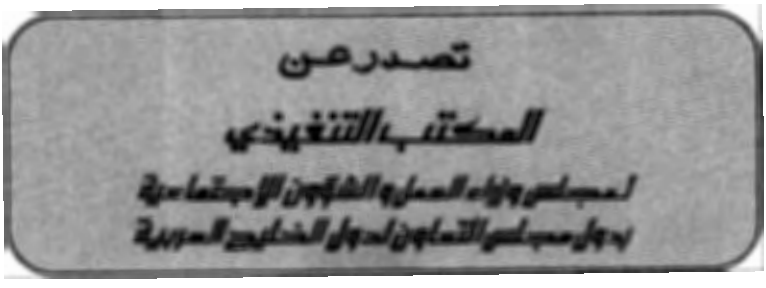

الإشراف العام : كامل صالح الصّالح

التحرير والإعداد: خلف أحمد العُصفور
جميل حميدان
فهيمة الزبيرة

العدد "الخامس والعشرون" رمضان - شوال ١٤١٤هـ الموافق آذار / مارس ١٩٩٤م

المحتـــــويات

	الصفحة من	إلى
تقـــديم المديـر العـام :	٧	٩
مدخـــل تمهـــيدي :	١٣	١٧
الفصـــــل الأول : واقع الاعلام عـالميا وفي دول الخليج العربية	١٨	٢٨
أولاً : واقع الاعلام عالميا	١٨	٢١
ثـــانيـــاً : واقع الاعلام عربيـا وفي أقطار الخليج العربيـة	٢٢	٢٨
الفصـل الثـــــاني : واقع التنشئة الإجتماعية في المجتمع العربي الخليجي	٢٩	٤٤
أولاً : الأســـــرة	٣٤	٣٧
ثـــانيـــاً : المدرســة	٣٧	٣٩
ثـــالثـــاً : وســـائط الثقـــافة	٣٩	٤١
رابعـــــاً : الألعـــاب	٤١	٤٣
خـــامســـاً : وسائل التنشئة غير المباشرة	٤٣	٤٤
الفصـــل الثـــالث : التنشئـة الإجتماعية ــ تحديدهـا.. أبعادهـا.. عملياتها	٤٥	٧٤
أولاً : تحديـــد التنشئـــة الإجتماعيـــة.	٤٥	٤٩
ثـــانيـــاً : أبعـاد عمليـة التنشئـة الإجتماعيـة.	٤٩	٦٨
ثـــالثـــاً : عمليـــات التنشئـــة الإجتماعيـــة.	٦٨	٧٤

	الصفحة من	الصفحة إلى
الفصل الرابع : التلفزيون والتنشئة الإجتماعية من سلطان الصورة إلى أبناء الصورة...	٧٥	٩٧
أولاً : مقدمة	٧٥	٧٨
ثانياً : تأثير التلفزيون وأواليـاته.....	٧٨	٨٨
ثالثاً : التأثر بالتلفزيون وأواليـاته (تمثل النماذج)	٨٨	٩١
رابعاً : قضايا كبرى حول التلفزيون، آثاره ومستقبلياته	٩١	٩٧
الفصل الخامس : نحو صياغة مقترحة لمشروع اعلان اعلامي عربي خليجي للتنشئة الإجتماعية	٩٨	١٣١
أولاً : مقدمة ـ مقومات استراتيجية اعلامية في التنشئة	٩٨	١٠٩
ثانياً : الأطر العامة والمعايير.....	١١٠	١١٣
ثالثاً : مواءمة العمليات للاحتياجات	١١٣	١٢٤
رابعاً : المستلزمات	١٢٤	١٣١
المراجع :	١٣٢	١٣٤

تقديم المدير العام

في إطار الاحتفال الجماعي المشترك لاقطار مجلس التعاون الخليجي بالسنة الدولية للأسرة، وضمن أنشطة وبرامج المكتب التنفيذي في هذا المجال، يتم تخصيص إصدار آخر من سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، وذلك إحتفاء بهذه المناسبة العالمية الهامة وإسهاماً في تحقيق أهدافها وغاياتها الانسانية النبيلة، حيث يتناول هذا العدد إحدى القضايا الأسرية الأساسية التي أولاها مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية المزيد من البحث والتقصي والاهتمام، وهي القضية التي يدور محورها حول تأثير وسائل الاعلام الحديثة على التنشئة الاجتماعية وتعزيز مسؤوليات الأسرة وتأكيد دورها الجوهري في هذا الميدان.

لقد أصبح معروفاً أن من أهم حقائق السنوات الأخيرة من القرن العشرين انفجار ثورة المعلومات والتطور التكنولوجي غير المسبوق لوسائل الاتصال الجماهيري والأساليب المتقدمة في مخاطبة الرأي العام. ومن أهم سمات وخصائص هذا العصر أيضاً بروز هيمنة أجهزة الاعلام وسرعة إنتشارها وتنامي سطوتها حيث تعاظم تأثير هذه الأجهزة وأصبح دورها عميق الأبعاد والمحاذير في حياتنا المعاصرة، كما أصبحت وسيلة ذات نفوذ حاسم على مختلف فئات وشرائح المجتمع، وذلك بعد أن تلاحقت المنجزات العلمية المذهلة في تطوير تلك الأجهزة والوسائل وخاصة في مجال القنوات الفضائية وظهور مئات محطات البث المباشر عبر الأقمار الصناعية إضافة إلى التحول القريب المرتقب في نظام التلفزيون الرقمي وتكنولوجيا الألياف الضوئية. الأمر الذي جعل الجميع في قبضة الاعلام القوية والتي سيطرت على معظم حواس المتلقّي وجذبته جذباً كلياً لقبول المادة الاعلامية المطروحة أمامه بدون مناقشة أو حتى قدرة على مقاومة إغراءاتها.

وفي هذا السياق يمكن لنا أن نتساءل عن مدى إمكانية رصد عمق تأثير أجهزة الاعلام في رسم إتجاهات المجتمع والتحكم في ميول الأفراد ونزعاتهم وتكوين ملامح شخصيتهم؟ وهل يمكن قياس مدى تأثير ذلك السيل الطاغي الذي

لا ينقطع من المادة الاعلامية على الناشئة من الاجيال الصاعدة في مجتمعاتنا؟ هل لا زالت أجهزة الاعلام المعاصرة مجرد وسائل للمعرفة الهادفة والتثقيف الراقي والترويح والتسلية البريئة؟ أم أنها أصبحت من حيث ندري أو لا ندري وسيلة لاعادة تشكيل القيم والمفاهيم والافكار ورسم سلوك الناس وتحديد نمط حياتهم؟ هل في استطاعة وسائل الاعلام الحديثة ومن خلال ما تبثه وعلى مدار الساعة من كلمة مسموعة وصورة مرئية متحركة وبمؤثرات صوتية وبصرية مجسمة ذات تقنيات فنية عالية المستوى والاحكام، هل يمكن لها لو شاء القائمون عليها أن تشوه أخلاقنا وتنشر الفاحشة والرذيلة بين شبابنا؟ هل يمكن لهذه الوسائل لو وجهت من قبل أيدٍ عابثة غير مسؤولة ولا منتمية وذات مخططات مدروسة ونوايا خبيثة أن تسمم عقولنا وتنتزعنا من بيئتنا الاجتماعية وتستأصلنا من جذورنا الثقافية والدينية وقيمنا وتقاليدنا الأصيلة؟

وبعد ذلك كله، ما مدى إمكانية استخدام أدوات البحث العلمي وتطبيق مناهجه في العلوم الاجتماعية للاجابة على مثل هذه التساؤلات الهامة والخطيرة التي يطرحها موضوع الاعلام والتنشئة الاجتماعية؟ والتي تضعنا وجهاً لوجه أمام تحديات كبيرة يفرضها التدفق الجارف للمادة وللحدث وللخبر الاعلامي الذي يلاحقنا ليل نهار ويوماً بيوم بل لحظة بلحظة.

هذا ما يحاول الاجابة عليه، وبجهد علمي مشكور، الأستاذ الدكتور مصطفى حجازي، رئيس قسم علم النفس بجامعة البحرين، من خلال الدراسة التحليلية الاجتماعية الاعلامية والنفسية التربوية التي أعدها بالتعاون مع المكتب التنفيذي، والمنشورة ضمن صفحات هذا العدد، والتي امتازت بعمق التحليل وشمولية الطرح ودقة التشخيص، وهو ما اتسمت به سائر كتابات الدكتور حجازي القيمة ودراساته العلمية السابقة.

لقد استعرضت الدراسة واقع الاعلام عالمياً وعربياً وخليجياً، كما تناولت تحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية وابعادها وعملياتها في أقطار مجلس التعاون الخليجي،

إضافة إلى تركيزها وبشكل خاص على التلفزيون وما يملكه هذا الجهاز المدهش من سلطان الصورة وتأثيرها على أبناء الصورة، وما تطرحه وتتوقعه الدراسات المستقبلية من فرضيات واشكاليات عديدة في هذا المجال.

كما خلصت الدراسة في فصلها الأخير إلى نتائج ومؤشرات موضوعية تعززت بالمرئيات والملاحظات التي تقدمت بها الجهات المختصة بالدول الأعضاء والتي انتهت إلى صياغة مشروع مقترح نحو اعلان اعلامي عربي خليجي للتنشئة الاجتماعية يكون خطوة في اتجاه توظيف أجهزة الاعلام واستثمار برامجها المختلفة في تدعيم وتعضيد التنشئة الاجتماعية السوية المنشودة والحد من الآثار السلبية للمادة الاعلامية الوافدة غير المرغوبة بتياراتها الغريبة وقيمها الدخيلة على مجتمعنا وليكون في الوقت ذاته مدخلاً لبذل المزيد من الجهد الوطني الهادف إلى تعميق مسؤوليات الاعلام ودعم رسالته الايجابية البناءة ليكون اعلاماً سليماً وقادراً على الاسهام في بناء الأسرة وتحقيق سعادتها والمساعدة في حلّ الكثير من مشاكلها واعانتها على تنشئة ورعاية جيل صالح من الأبناء، وليكون كذلك اعلاماً يتسق وقيم المجتمع ويدفع بأجياله على طريق القوة والتقدم والنهوض.

وضمن هذا التوجه يمكن أن يكون الاعلام أداة فاعلة للانفتاح على ثقافات المجتمعات البشرية الأخرى وتحقيق التواصل الانساني الحضاري بين كافة شعوب الأرض وبروح صادقة من تسامح ينبذ التعصب، وتعاون يرفض الفرقة والحروب والمنازعات، وإخاء لا يعرف التناحر والبغضاء.. انها لقضية تستحق أن تكون احدى المحاور الرئيسية للاحتفال العالمي بالسنة الدولية للأسرة يتوجب أن تستقطب من الجميع كل الاهتمام والعمل الجاد والمثمر.

والله نسأل الهداية والسداد.

كامل صالح الصالح
مدير عام المكتب التنفيذي

دراسة تحليلية

قام المكتب التنفيذي بإعداد هذه الدراسة
التحليلية الاجتماعية الاعلامية والنفسية التربوية بالتعاون مع
الدكتور مصطفى حجازي
رئيس قسم علم النفس
جامعة البحرين

مـدخـــل تمهيـدي

في مـؤتمر القمـة العالمي مـن أجل الطفل أقرّ مبـدأ حق الأطفـال في أن يكـون لهم (النداء الأول)[1] باعتباره الموجه الذي يجب أن يحكم طبيعة التقـــدم لدى كل الأمم، خـــلال عقـد التسعينـات وما بعـدها، وذلك بصرف النظـر عن تقلبـات الاقتصاد والسياسة والسلم والحرب عالميا ومحليا. ذلـك أنه اذا تحقق هذا المبدأ تكون الحضارة قـد حققت تقـدمـا مهما. كما جعل هـذا المؤتمر الفشل في حمايـة نمـو الطفل على جميع الأصعدة في أساس تفاقم مشاكل الانسانية وتعقدها واستمرارها.

وكـان المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشـؤون الإجتماعية بـدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية رائداً في هـذا المجال، فلقد استمر منذ أوائل الثمانينات على اجراء مسوح وبحـوث ميدانية قام بها نفـر مميز من الخبراء لواقع الطفولـة العربية الخليجية وقضـاياها واحتيـاجاتها، شكلت هذه البحـوث الميدانية مـادة دراسية على درجـة مميزة مـن العمق والشمول في التحليل أتـاحت الفـرصـة لوضع العـديـد من التوصيـات والمواثيق التي خرجت بها الندوات والملتقيات التي نظمهـا المكتب لتلبية احتياجـات الطفـولة ومستقبليـاتها. ففي عـام ٨٢ ـ١٩٨٣م أنجـزت دراسة أنماط الخدمـات المتاحـة للطفل العربي الخليجي وأسـاليب تطـويرهـا والسلبيات المحيطـة بحياته، وفي نفس العام عقدت الحلقة الدراسية لرعاية الأحداث الجانحين، وفي عام ١٩٨٥م أقر المجلس المبادىء العامة لسياسة عربية خليجية مشتركة لرعاية الطفولة، وفي العـام ١٩٨٦م عقـد اللقـاء العلمي حـول دراسة أثـر المربيـات الأجنبيـات على خصائص الأسرة العـربية في الخليج العربي، وفي العـام ١٩٨٨م عقد اجتماع للخبراء من أجل دراسة موضوع تأثير وسائل وأجهزة الاعلام الحديثة على التنشئة الإجتماعية في المجتمع العـربي الخليجي والتي تشكل الـدراسة الحاليـة وفضـلا عن كونها تنفيـذا لقرار صادر عن المجلس، فهي من جهة أخـرى تعتبر صورة من التنفيذ العملي لذلك الاجتماع. ولقـد أصدر المكتب كل هـذه الأعمال في سلسلة من الكتب والمنشـورات

(١) اليونيسف، **مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل**، منشورات اليونيسف، ١٩٩٠م، ص٥.

تشكل مرتكزات هامة لعمليات التخطيط لتلبية الاحتياجات الراهنة والمستقبلية للطفولة العربية الخليجية[٢].

أما مجلس التعاون لدول الخليج العربية وأمانته[٣] فقد حرصا على تبني استراتيجية تنمية الطفولة حيث تم عقد اجتماع خبراء لتحديد أولويات وأساليب العمل للنهوض بالطفولة خلال عقد التسعينات في منطقة الخليج العربي.

ولم تكتف التوصيات بذلك بل أنها أكدت على اعطاء الأولوية لخدمات رعاية الأمومة والطفولة في خطط التنمية باعتبارها تبدأ بالاستثمار في العنصر البشري. وجعلت التوصيات الاهتمام ببرامج التنشئة الإجتماعية لأطفال الخليج من خلال وسائل الاعلام الحديثة ـ المرئية خصوصا ـ قضية حيوية لتعزيز الهوية الثقافية لهؤلاء الأطفال استنادا إلى واقع حضارة بلادهم وثقافتها ولغتها.

ولم يتخلف المجلس العربي للطفولة والتنمية[٤] عن ركب الاهتمام الاستراتيجي هذا حين أكد على العلاقة العضوية المتكاملة والمتفاعلة بين تنشئة الطفولة في العالم العربي وبين مضمون المشروعات التنموية المختلفة، وحين أكد على أن الخلل في هذه المعادلة (لصالح المشروعات أو لصالح التنشئة) سيؤدي إلى خلل المخططات وعدم تحقيقها لأهدافها.

اضافة إلى ذلك كله عقدت خلال الثمانينات العديد من الندوات في الدول العربية الخليجية صدرت عنها أعمال هامة حول قضايا الطفولة في كل من دولة الامارات العربية المتحدة والكويت والمملكة العربية السعودية. ففي شهر فبراير من عام ١٩٨٨م عقدت ندوة «الطفولة في مجتمع متغير» في جامعة العين حول واقع وتطلعات تنشئة الطفولة العربية في دول الخليج العربية. ولقد عرضت تقارير هامة عن أوضاع الطفولة وخدمات التنشئة الخاصة بها في كل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة الكويت من ضمن أوراق أخرى. وفي كل الحالات كان يتم التوقف عند القضايا الرئيسية التي يطرحها الاعلام الحديث في عمليات التنشئة.

---

(٢) انظر القائمة الكاملة لتلك الدراسات والمطبوعات في مراجع هذه الدراسة ومصادرها.

(٣) الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومنظمة اليونيسف في الخليج. **تقرير اجتماع خبراء تحديد أولويات وأساليب العمل للنهوض بالطفولة خلال عقد التسعينات في منطقة الخليج العربية**، دبي ٧ ـ ٩ مارس ١٩٨٩، ص٥.

(٤) المجلس العربي للطفولة والتنمية، **واقع الطفل في الوطن العربي**، ١٩٨٩م، ص١٢.

ولقد سبق ذلك نـدوة هامة أخرى في العـام ١٩٨٦م بعنوان «ماذا يريـد التربويون من الاعـلاميين» بتنظيم من مكتب التربيـة العـربي لـدول الخليج، وصـدرت أعمالها الهامة في مجلدات ثلاثة عن هذا المكتب.

وتطـول القائمـة كثيرا اذا أردنـا اجراء دراسـة مسحيـة وافية لهذا الاهتمام بتنشئـة الطفـولـة ودور وسـائل الاعـلام الحديثة فيهـا، والتـوصيـات والقـرارات والخطط الصادرة في هذا الشأن. والواقع أن الدراسات والكتـابات في هذا الصدد قد تناولت المسألـة كما هي مطـروحـة بشكل عـام وخليجيـا بشكل خـاص في جميع أبعـادهـا ومستويـاتها ومقوماتها وقضايـاها. وخرج عنهـا مجموعة من التوصيـات الهامة التي تشكل دليل عمل قيّم في هذا المضمار.

وإن دلّ ذلك على شيء، فإنما يـدلّ على مـدى الوعي بهذه القضيـة الاستراتيجيـة والاهتمام بها من قبل المسؤولين والخبراء والفنيين سواء بسواء. وليس هذا بمستغرب اذا علمنـا أن مجتمعـات الخليج هي مجتمعات فتيّـة عمـومـا يقارب اعـداد الأطفـال والناشئة فيها نصف عدد السكان تقريبا.

وليس ذلك بمستغـرب كـذلك اذا علمنـا ان التنشئـة الإجتماعيـة بما هي اعـداد الأجيال للقيام بمهام المستقبل انطلاقا من الارتبـاط الوثيق بالحضارة والهوية ـ عملية طويلة المدى ـ وحين ترسى أسسها في الحاضر، فـان نتائجها المستقبلية ستصبح حالة ولمدة طويلـة قد تتجـاوز الجيل الواحد إلى مـا يليه من أجيـال. وعلى عكس العمران الذي يمكن تأخير خططـه، أو تأجيلها بـدون آثار لاحقـة خطيرة، فان المستقبل على صعيد التنشئـة يبنى الآن، فمسألة التنشئـة من القضايـا التي لايمكن تأجيل الاهتمام بها. فأي تقـاعس أو تقصير على هذا المستـوى سيخلق حـالـة يصعب التعامل معهـا والسيطرة عليها وتغييرها. فـاذا لم نؤسس تنشئة اجتماعية بناء لاحتيـاجاتنا ستحدث تنشئة بديلة، متسربة، لن تكون في مصلحتنا.

وعلى عكس العمران الـذي يمكن ايكال أمـره إلى الغير حين تتوافـر الموارد المادية ونستمتع نحن بتسهيلاته ومرافقه، وأيضـاً على عكس التكنولوجيا والسلع المختلفة التي يمكن استيرادهـا، فـان التنشئـة الإجتماعية مسـألة ومسـؤوليـة ذاتيـة لا يمكن لااستيرادهـا ولا تفـويضهـا إلى الغير. لايمكن انجـاز تنشئـة تضمن المستقبل

بالتفـويض. انها مسؤولية ذاتية ووطنيـة لا يمكن تجنبها أو الفرار منها. أمـا اذا صار استيراد أو تفويض فان التنشئة ستكون حتما لحساب الغير ولخدمة أغراضه هو وليس لحسـاب الوطن والمصير. واذا حـدث تقـاعس فلن يكون هنـاك ثغـرة أو تأجيل بل ستقوم تنشئـة بديلـة وافدة بـالضرورة ولا يمكن ضمانها ولا توجيـه آثارهـا. ولنا أن نتصـور كيف يمكن أن يكـون عليـه الحال اذا مست المسـألـة نصف السكـان الـذين يشكلون عماد المستقبل وعدته.

تلك هي القضية الأساس التي تبرر وضع هذه الـدراسة، وما يمكن أن تنتهي اليه من نتائج في توصياتها. أما الربط بين وسـائل الاعلام الحديثة والتنشئة فانه يجد مبرره في الدور المتعاظم، لا بل الحاسم الـذي أخذت هذه الوسائل تلعبـه في عملية التنشئة مما يبرر اطلاق تسمية (أبناء الصورة) على الأجيال الصاعدة.

تتلخص هذه الدراسـة في معالجة ثلاثة محاور تقع في خمسـة فصول. يتمثل المحور الأول منها باستعراض واقع الاعلام عـالميا وتأثيره على عمليات التنشئة من جانب، وواقع التنشئة الإجتماعيـة في أقطار الخليج العـربية وتـدخل الاعلام فيها مـن جانب آخر. وهو مـا يشكل الفصلين الأول والثاني. بعد هذه الجولة العامـة للواقع الراهن تعـالج الـدراسة في فصلين آخـرين أسس ومقـومـات وديناميات ووسـائط عمليـة التنشئة، مما يشكل مرتكزا لأي تخطيط مستقبلي فعـال في هذا الصدد. كما تعالج تأثير وسـائل الاعـلام الحديثة وخصـوصـا المرئيـة منهـا تحت عنوان رئيس هـو (سلطـان الصـورة) وهو مـا يشكل المحور الثـاني. أمـا المحور الثـالث والأخير فيتمثل بفصل خـامس يتضمن عنـاصر مقترحـة لمشروع اعــلان اعـلامي عـربي خليجي للتنشئـة الإجتماعية.

تشكل الصيغة الـراهنة لهذه الدراسـة المشروع الأساسي الذي عـرض على الجهات المعنية والمختصـة في وزارات العمل والشؤون الاجتماعية والاعـلام والتربية والتعليم وغيرهـا ذات العـلاقة في دول مجلـس التعاون لـدول الخليج العـربيـة، حيث تفضل المسؤولون بإبـداء ملاحظاتهم ومرئياتهم واضافـاتهم القيمة عليها والتي أتت تعكس درجـة الاهتمام الطيب والالتزام الكبير بهذه القضيـة الحيويـة. ولقد سـاعدت هـذه التصويبـات والمرئيات على تطويـر هذه الدراسـة واستكمال بعض جوانبها وتغـذيتها

وتعميقها وذلك على صعد التوجهات العامة اسلامياً وعربياً وانسانياً، والتوجهات الفنية المتعلقة بخطط العمل وبرامجه وتجهيزاته المادية والبشرية ومؤسساته، والتوجهات التشريعية والقانونية الخاصة بحماية الطفولة من أخطار الاعلام الوافد وتعظيم ايجابياته، وتنسيق الجهود بين دول المجلس. هذا كله أعطى للمشروع المزيد من حسن التوجه في السياسات والتكامل في البرامج والاجراءات مما نأمل أن يؤتي أكله ثماراً طيبة في تنشئة الطفولة العربية الخليجية.

الفصـــل الأول

واقع الاعلام عالمياً وفي دول الخليج العربية

لابد لأي بحث في علاقة وسائل الاعلام الحديثة بالتنشئة الإجتماعية من وقفة تذكير وتلخيص لخصائص الواقع الذي أصبح معروفا ومتواترا عالميا من ناحية، ومقارنة ذلك ببعض خصائص الواقع الاعلامي بعامة والاعلام الموجه إلى الأطفال والناشئة تحديدا على الصعيدين العربي العام والخليجي الاقليمي، كما تعكسه معطيات مختلف الدراسات والمسوح. الغاية من هذه المقارنة تبيان حالة الاعلام وتأثيرها على التنشئة وصولا إلى تلمس نوع هذا التأثير واتجاهاته وفرصه وأخطاره سواء بسواء.

أولاً ـ واقع الاعلام عالمياً:

ليس من المبالغة في شيء القول بأن السمة الرئيسية المميزة لنهاية هذا القرن وبداية القرن الحادي والعشرين والمعروف بعصر ما بعد التكنولوجيا، هي فيض المعلومات، وانفجار المعلومات، وثورة المعلومات، وثروة المعلومات وليس من المبالغة في الشيء ما ذهبت اليه الخطة الشاملة للثقافة العربية[٥] من قول بتقسيم العالم إلى بلدان غنية بالمعلومات وأخرى فقيرة بالمعلومات. وأن قصب السبق في ولوج المستقبل يكاد يكون للبلاد الأكثر غنى بالمعلومات التي أصبحت تزاحم ثروات المواد الأولية. ولذلك أصبحت هناك مفاهيم جديدة من نوع صناعة الاعلام وصناعة الثقافة، وحضارة الفيديو، والتعليم الموازي، القرية الشاملة، والمجتمع المضبوط بالحاسبات، تشير جميعا إلى بروز نمط جديد ومستديم في الاعلام والوصول إلى المعرفة. ولقد وضعت اليونسكو العديد من الدراسات والأوراق حول هذا الواقع

---

(٥) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة للثقافة العربية، المجلد الأول**، الكويت ١٩٨٦.

الجديد في صدد معالجة موضوعات التنشئة والثقافات الوطنية وحمايتها[٦]. وتتمثل أبرز الأفكار حول هذه القضية فيما يلي :

- يتضح اكثر فأكثر ان التطورات الحديثة أدت وتؤدي إلى توحيد متزايد للعالم بوصفه مكانا للاتصال والتبادل بين البشر والثقافات وهو سيصبح عما قريب، بفضل تكنولوجيا الاتصال مجالا مفتوحا تماما ليس فيه أماكن مغلقة ولا امكانية لعزلة ثقافية. الاعلام سيقتحم حياة الآخرين الخاصة وينفذ إلى أكثر النقاط بعدا وتوضيحا. وهو تطور سيشكل شئنا أم أبينا مستقبل البشرية على هذا الصعيد.

- ان تكامل عمل تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتضافرها: الحاسوبات العملاقة، الألياف البصرية، الذبذبات، الأقمار الاصطناعية، محطات الارسال خارج الغلاف الجوي، ستؤدي إلى تغليف الكرة الأرضية بشبكة اتصالات واعلام تتحكم فيها تكنولوجيا فائقة التقدم تكاد تلغي قيود الزمان والمكان، أو هي تجعلها غير ذات شأن، تنتج وتوزع كميات مذهلة من المعلومات وامكانات تقنية للمعالجة والمزج والتركيب والبث الفوري يعسر مقاومتها، وتخضع كلها لمراكز سيطرة من يملك هذه التكنولوجيا.

- وستكتسب صناعات الاتصال والاعلام في بعض البلدان الرائدة وزنا اقتصاديا يجعلها تصبح الصناعات الغالبة، كي تحل مكان الصناعات الثقيلة والتحويلية بوصفها العنصر الرئيسي لتكوين الناتج القومي. المعلومات هي بصدد التحول إلى احتلال مرتبة المورد الرئيسي الأكثر حسما ربما من دور الموارد الأولية.

- ستتحكم صناعة المعلومات وتوزيعها وتسويقها بصناعة الاعلام والثقافة وهي التي ستتحكم بالسلب والايجاب بالتنشئة والتكوين والتثقيف. فمن ناحية أولى سينتفع الأقل حظا من هذه الامكانات الهائلة من خلال توسيع أفق الخبرات والمعارف من كل أصقاع الأرض، من ناحية ثانية هناك خطر افقار الممارسات الثقافية الوطنية من

---

(٦) مكتب التربية العربي لدول الخليج: «الاتصال بين الناس والثقافات، مشروع خطة متوسطة الأجل ٨٤ ـ ٨٩»، وكذلك: «الامكانات التربوية لوسائل الاتصال والاعلام الحديثة» ضمن كتاب **(أصوات متعددة لعالم واحد)** وكلاهما وارد في الجزء الثالث ـ **ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين** ـ الرياض ١٩٨٦.

خلال الدفع إلى موقع الاستهلاك السلبي للمعلومات المفروضة بشكل فوقي، ومن ناحية ثالثة هناك خطر التنميط والتبسيط الناتج بالضرورة عبر انتقاء المواد الاعلامية والمعلومات الأيسر تداولا والأكثر قابلية للتسويق على نطاق عالمي.

- ان شبكة الاعلام التي تغطي المكان والزمان (من مثل محطات الارسال العملاقة التي تبث على مدار الساعة وتغطي أربعة أصقاع الأرض) بفضل ما تملكه من تكنولوجيا وما تتعامل به من مواد وما يتوافر لها من مصادر معلومات تجعل الفوارق كبيرة بين البلاد التي تملك مثل هذه الشبكات والبلدان النامية التي تستقبلها، مما يضع هذه الأخيرة في وضعية خطيرة هي وضعية المتلقّي.

- فرض هذا الاعلام المهيمن قضية كونية بين المتخمين بالاعلام، وبين المحرومين من انتاجه واستهلاكه، مما ولد حالة هيمنة اعلامية تتصف بعدم التكافؤ. حيث أن ٨٠٪ من الأنباء والمادة الاعلامية تأتي من البلاد الصناعية في مقابل ١٠ ـ ٣٠٪ من البلدان النامية. وهو ما يترتب عليه عواقب خطيرة اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية على حد سواء. فالبلدان المنتجة للاعلام تنزع إلى اهمال الثقافات الأخرى ولا تعرض منها إلا ما هو عجيب وطريف. وكثيرا ما تصور المادة الاعلامية هذه البلدان النامية بصورة مبسطة ومجتزأة، وأحيانا مشوهة ومجافية للواقع مما يفتح الباب على مصراعيه أمام بروز التحيزات والنعرات على اختلافها.

- تكمن المسألة الأساس في كل ذلك في طمس الثقافات الوطنية، في هذا الفيض الاعلامي لمصلحة ثقافة البلدان المنتجة. وينتج عن ذلك بالضرورة تنميط ثقافي وتصدير لمثل عليا ونماذج أبطال وسلوكات وتوجهات وقيم، وأسلوب حياة وأفق ذهني وافد ومفروض بشكل فوقي، يطغى على الثقافات الوطنية التقليدية ويبلبل أنماط التنشئة الإجتماعية المتماسكة.

- لم يسبق أن ارتبط الاعلام بالتنشئة الإجتماعية كما هو عليه الحال الآن فهذا الاعلام المهيمن والمفروض يقوم بعملية تنميط جديدة، وعملية قولبة فكرية وحياتية، تنال من متانة الخصائص الذاتية. وخصوصا أن هذا الاعلام بكثافته وتوفره وتنوعه وتقدم تقنياته يتحول إلى عملية من العسير مقاومتها. وأكثر من

ذلك يتحول إلى عملية من الصعب موازنتها من خلال وسائط التنشئة المألوفة وعلى رأسها الأسرة وتأثيرها والمدرسة وانجازاتها، وحتى الثقافة المحلية بكل غناها وتنوعها. فالاعلام والتربية يتنافسان راهنا ويتضاربان، مما يولد تناقضات خطيرة في عقل الانسان والناشئة تحديدا. وبينما يقوم النظام التربوي على قيم النظام والطريقة والبرمجة، وعلى التركيز والمناقشة والمجهود الشخصي، يقوم الاعلام على الجديد والمتعدد والسهل والمفهوم وينمي قيم اللذة والمتعة.

- والأهم من ذلك أن النظام الاعلامي يطغى عليه الطابع الفسيفسائي. المعلومات المتعددة والمتنوعة وغير المترابطة تفتت التنشئة وتشوشها وتدخل البلبلة والغموض على مفهوم الذات المتماسك من خلال اعطاء الأولوية للمثير والجذاب والمبسط.

- لا مجال بعد اليوم لتجاهل هذا الواقع الاعلامي في عملية التنشئة. كما أنه لا مجال لمقاومته أو رفضه. بل لابد من موقف نشط في التعامل معه لتحويل الأخطار التي يحملها إلى فرص انفتاح واثراء وحفاظ على الهوية الوطنية في آن معا. وهنا يبرز المفهوم الجديد (محو الأمية الاعلامية) من خلال تغيير دور ووظائف وسائط التنشئة الإجتماعية ووكالاتها وعلى رأسها الأسرة والمدرسة. لابد من تعليم الطفل والناشىء في كل من الأسرة والمدرسة على حسن استخدام وسائل الاعلام وموادها وتنمية حسن النقد والاختيار والتمييز بين الايجابي الأصيل، والزائف السطحي. كما لابد من الوعي بأخطار الانبهار بقوة وتكنولوجيا الاعلام ومنطق السهولة. وهو ما يحتاج إلى اعادة تأهيل الأسرة والتربويين على حد سواء للتعامل مع هذه الثقافة الجديدة، مما يبين لنا مدى أهمية التفكير بوضع دراسة حول هذا الموضوع، مما نحن بصدده.

- ان المشاركة النشطة في صناعة الاعلام وما يحمله من ثقافة جديدة هو مسألة حيوية للبلدان النامية من خلال تمتعها بقدرات اكبر على انتاج واستهلاك الاعلام. فتلك هي فرصتها الرئيسية راهنا للتقدم والتطور وتلك هي الوسيلة لصيانة الذات الثقافية وتعزيز الوحدة الوطنية. أما البلدان التي يتعذر عليها المشاركة فستصبح على هامش العالم. وسيظل سكانها خارج تيارات الحياة السياسية والثقافية.

ثانياً ـ واقع الاعلام عربياً وفي أقطار الخليج العربية :

يتزايد الوعي بأهمية الاعلام الموجه إلى الطفل خصوصا وإلى الجمهور بشكل عام في العالم العربي وفي دول الخليج العربية تحديدا. ولقد عقدت عدة ندوات وأجريت مجموعة هامة من الدراسات حول هذا الموضوع: حجمه، مستوياته، محتوياته، واقعه... يمكن من خلال هذه الدراسات والأوراق رسم صورة عامة عن الواقع الراهن ولابد من الاشارة مقدما إلى أن درجة الوعي المتزايد دفعت المسؤولين في العديد من بلدان الخليج العربية إلى الاهتمام باعادة المقدمة للأطفال من حيث الكم والمحتوى، والاهتمام بمدى ملاءمتها لأهداف التنشئة الوطنية والاسلامية، إضافة إلى التثقيف العام والعلمي. فلقد قام المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بجهود رائدة في مجال الدراسات المسحية وتحديد الاحتياجات ووضع التوصيات والمواثيق طوال عقد الثمانينات حول احتياجات الطفولة ومستقبلياتها في الصحة والرعاية والتنشئة والاعلام، ولقد صدرت كلها في تقارير وكتب تشكل مرتكزا هاما من حيث العمق والشمول لكل الخطط الراهنة والمستقبلية في هذا المجال، ولقد تميزت جهود المكتب على هذا الصعيد ببعدها الخليجي من ناحية وبمستوى انجازها العلمي المتقدم على يد نخبة من الخبراء والاختصاصيين من ناحية ثانية[٧].

ويضاف إلى ذلك الجهود المحلية في العديد من أقطار الخليج العربية، ففي السعودية أولت وزارة الاعلام اهتماما كبيرا لبرامج الأطفال في كل من الاذاعة والتلفزيون[٨]. فعلى الصعيد الاذاعي يبث البرنامج العام والبرنامج الثاني مجموعة من المواد التي تركز على تثقيف الطفل وتنمية مهاراته من مثل: حكايات للصغار، أطفالنا أكبادنا، إضافة إلى برامج الأسرة التي تركز على حسن توجيه الأطفال، وبرامج التنشئة الوطنية والدينية واللغوية من مثل: سيبويه الصغير، ومجلة الأطفال، وعالم الطفل المسلم.

---

(٧) انظر: من أجل عرض هذه العناوين مفصلة، مقدمة هذه الدراسة وفهرسها.

(٨) المملكة العربية السعودية، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، **الخدمات الإجتماعية والتربوية والصحية التي يتمتع بها أطفال المملكة العربية السعودية** ـ ١٩٨٩م.

أما التلفزيون فهو يبث برامج متنوعة لتحقيق نفس الأهداف: عالمنا القطري، مكتبة الطفل، رحلة السندباد، نادي الأطفال، افتح يا سمسم إضافة إلى بعض برامج الكرتون. وهناك برامج خاصة في المناسبات الدينية والوطنية. كما تدعم الوزارة الانتاج الموجه إلى الأطفال في مجال الكتب وترويجها ومجال الصحافة ومجلات الأطفال من خلال دعم المؤلفين والناشرين بمعدل دعم ٥٠ كتابا سنويا. هذا إضافة إلى ادخال ١٢٠٠ عنوان لكتيبات ومصورات للأطفال بمختلف اللغات، واصدار مجلتين أسبوعيتين هما: الشبل وسامر.

ويشير تقرير قطري صادر عن سلطنة عمان إلى مدى اهتمام السلطنة بتنشئة الأطفال ودور الاعلام فيها برعاية اللجنة العليا لرعاية الطفولة فهناك لجنة تثقيف الطفل ضمن توجهات الدولة ومواكبة متطلبات العصر. وهناك مراقبة البرامج الاعلامية الخاصة بالطفل وتقويمها. وهناك جهود خطط لتلبية الاحتياجات الثقافية للطفل العماني والبحث عن الكتّاب المؤهلين لوضع وترجمة المادة العلمية الخاصة بذلك. ويضاف اليه تشجيع الكفاءات الشابة في هذا المضمار مع التأكيد على أهمية تخطيط وبرمجة البرامج الاعلامية الموجهة للأطفال تحت اشراف مختصين نفسانيين وتربويين. ولابد من الاشارة في هذا الصدد إلى البرامج الموجهة للأسرة والتي تركز على بحث وعلاج مشكلات الآباء والأبناء ومشكلات توافق الأطفال.

ولاشك أن بقية أقطار الخليج تقوم بجهود مماثلة في هذا المضمار في محاولة فعلية لتطوير دور الاعلام في تنشئة الطفولة. ويكفي للدلالة على ذلك رصد البرامج الموجهة للأطفال في كل من البحرين والكويت حيث هناك محاولات جادة لتحقيق مستويات من الأداء الاعلامي تحقق أهداف التنشئة.

إلا أنه رغم ذلك لابد من جولة أفق عامة حول واقع: الاعلام عربيا وخليجيا لابراز معالم الصورة الحقيقية وصولا إلى تبيان ما لايزال يتعين عمله واتجاهاته، اذا أريد للاعلام أن يلعب دوره الايجابي في التنشئة: ذلك أن كثافة المادة الاعلامية المستهلكة عربيا وخليجيا من خلال التلفزيون تحديدا تجعل الآخر يتخذ طابع الفرصة الايجابية بقدر ما يشكل خطرا وتهديدا. وتتوقف الغلبة لأحدهما على نوع الممارسة الاعلامية. اذ لاشك أن التلفزيون يحمل فرصا للتثقيف وتنمية المعارف والمهارات

والانفتاح على الكـون والحياة والمجتمعات الأخـرى ندر أن تـوفرت في أي عصر من العصور بهذه الوفرة والشمول.

دخل التلفزيـون العالم العـربي في أواسط الخمسينات[٩] . وسرعان ما أصبح في الستينـات جزءا من الخدمـات التي تقدمهـا معظم الدول العـربية ومنـذ ذلك الحين عرف العالم العربي تـزايدا سريعا في أجهزة التلفزيون وعـرف الأمر طابع الانفجار في دول الخليج، بسبب الـوفرة الماليـة ومـا صاحبهـا من قفـزات في الخدمات الصحيـة والتعليميـة، واستهـلاك الخدمـات الترويحية والاتصـاليـة: السفـر، الألعـاب على اختلافها، التلفزة والفيديو، مما يطلق عليه سعد الدين ابراهيم حالة انفجار الانفتاح على الدنيا بعد انغلاق[١٠]

ويشير حسن الابـراهيم[١١] في احصائية مقتبسة عـن اليونسكو بهذا الصدد إلى أن أجهزة التلفزيون ارتفعت في العالم العربي من ٧٥٦ ألف جهاز عام ١٩٦٥م إلى حوالي مليون وسبعمائة ألف جهـاز عام ١٩٧٥م وإلى أكثـر من سبعة مـلايين عام ١٩٨٠م. ومن المتوقع أن يكون العدد الآن بين ١١ ـ ١٣ مليون جهاز.

وهناك حوالي ٧٢٧ جهازا لكل ألف من السكان في الخليج عام ١٩٨٠م ويتوقع أن يكون هـذا العدد قد تضاعف حـاليا ليبلغ جهازاً لكل شخص ويتجـاوز ذلك إلى ما نسبته ٢ جهاز لكل شخص في دولة قطر، وهي أعلى نسبة في العالم.

ويزداد وزن الظاهرة في الخليج نتيجة لانتشار الأطباق القادرة على التقاط المحطات الخارجيـة في حالـة من كسر أي حـــدود أو رقابـة وطنيـة. ويعتبر الخليج هو الأكثـر استهلاكـا لهذه الظاهـرة وما يترتب عليهـا من فيض اعلامـي يغطي الزمـان والمكان بدون انقطاع.

---

(٩) د. بهية الجشي، «تأثير التلفزيون على الطفل»، **المؤتمر الاقليمي الخامس للمرأة في الخليج والجزيرة العربية**، البحرين ١٨ ـ ٢١ مارس ١٩٨٩م.

(١٠) د. سعد الدين ابراهيم، « تأثير التغيرات الإجتماعية ـ الاقتصادية المتسارعة على الطفولة العربية في الخليج»، **ندوة الطفولة في مجتمع متغير** ـ العين ٢١ ـ ٢٤ فبراير ١٩٨٨م، جامعة الامارات العربية المتحدة بالتعاون مع اليونيسف.

(١١) حسن الابراهيم، «الطفولة في دول الخليج العربي ـ بعض القضايا الرئيسية والملحة»، **في ندوة الطفولة في مجتمع متغير**، المصدر السابق.

ويشير الابـراهيم إلى دراسة قـامت بها الجامعـة الأمريكيـة في القـاهرة حـول تأثير التلفزيون على الاطفال والتي خلصت إلى أن الأسرة العربيـة تشاهد حوالي ٣٣ ساعة أسبـوعيا بمعـدل ست سـاعات يـوميا. أي أكثـر من سـاعات المدرسـة واللعب أو المذاكرة أو التفـاعل مع الأهل[١٢] ولهذا أصبح التلفزيون هـو الموجه لحياة الطفـل والمبرمج لها: مـدرسـة ــ تلفـزيون ــ نـــوم. وذلك على حسـاب المطـالعـة واللعب والتفاعل الإجتماعي، والانفتاح على العالم الخارجي والصلات مع الأهل.

على ان ساعات البث للأطفال تبقى محدودة مقارنة باجمالي ساعات البث العام فهي تبلغ ٧٪ في الامـارات، ١٠٪ في البحريـن وعمان، ١٤٪ في السعوديـة، ١٠,٥٪ في الكويت.

وإن دل ذلك على شيء فانـه يشير إلى أن معظم ما يشاهـده الأطفال موجـه للكبار أصلا، سـواء أكان مـادة اخباريـة أو وثائقية أو اعـلامية أو سـواها. وتـرى د. بهية الجشي[١٣] أن المشكلة لا تكمن في كمية الوقت الذي يقضيـه الأطفال أمام التلفزيون فحسب، بل في كـونهم ليســوا الجمهــور المستهــدف أصــلا لمعظـم البرامج التي يشاهدونها والتي صممت للكبار أصلا.

وتتابع هذه الاختصـاصية في الموضوع، القول بأن أطفال الكويت يعجبـون ـ بناء على دراسة أجـريت على عينة من ١٠٠٥ أطفال ذكـور واناث من المرحلة المتـوسطة ـ بأفلام الكبار أكثر من اعجابهم بالبرامج الموجهة اليهم، مما يشير إلى عدم جاذبية هذه البرامج في محتواها.

وتشير في الاجـابة على تسـاؤلها حـول هذه الظـاهـرة بأن برامج الأطفـال لا تلبي احتيـاجـاتهم، ولا تحمل لهم المتعـة التي ينشـدونها. ذلك أن مـا يقـدم لهم لا يأخـذ بـالاعتبار قـدرات الأطفال ومـراحلهم العمـرية، واحتيـاجاتهم النفسيـة والثقافيـة وميولهم. بل هي تقدم ما يعتقده الكبار ملائما ويجب أن يفرض على الأطفال. وغالبا ما تقوم برامج الصغار على الـوعظ والنصيحة والموقف التعليمي الفوقي، فضلا عن

---

(١٢) حسن الابراهيم، المصدر السابق، ص١٠.
(١٣) د. بهية الجشي، مصدر سابق، ص٩.

كونها تفتقد الخطة المتماسكة ذات الهوية الواضحة، بل هي تأتي كخليط متنافر تتعذر دراسته وتحديد آثاره[١٤] .

وتقع خريطة البرامج التلفزيونية العربية ضمن ثلاثة أنواع :

- برامج محلية يعدها ويقدمها معدون ومعدات ويشارك فيها الأطفال بالحضور أو بالمشاركة في تقديم بعض الفقرات وهي عموما شكلية من مثل الأناشيد المدرسية وطرح بعض الأسئلة التعريفية على الأطفال .

- برامج مقتبسة عن برامج أجنبية مع تكييف محلي في محتواها واخراجها كي تقترب من البيئة الثقافية العربية، من مثل برنامج افتح يا سمسم وبرنامج قوس قزح .

- برامج أجنبية تقدم بلغتها الأصلية أو مترجمة كليا أو كتابة عند أسفل الشاشة، ومعظمها من الرسوم المتحركة أو الأفلام الوثائقية عن الطبيعة والحيوان .

وحين استعراض كمية البرامج نجد أن ما لا يقل عن ٦٠٪ منها مستوردة ومعظمها لا يعكس الملامح الصحيحة لبيئة الطفل العربي ولا احتياجاته الثقافية أو التنموية[١٥] . ورغم الترجمة يبقى المضمون هو المشكلة الأساسية. فهي تنقل مناخات غربية في القصة والأبطال والشكل ومفهوم الحياة والقيم والتوجهات السلوكية. وهذا يجعل الطفل العربي في حالة اغتراب عن الذات، وبدون مرجعية متينة من ثقافته الأصلية ويوقعه في حالة تشبع بالنماذج الغربية ويتغلغل هذا التأثير إلى أعماقه مما يدخل التشويش على تكوينه النفسي والثقافي وبالتالي على تنشئته .

تتكرر الشكوى من هذه الظاهرة التي تسير في اتجاه التفاقم من قبل العديد من الباحثين والكتاب والخبراء. كما تتكرر الشكوى من هزال المادة المقدمة محليا. وتتكرر الشكوى في المقام الثالث من فقدان الخطة التوجيهية ووحدة الرؤية والهدف وتماسك المادة الاعلامية التي تقدم للطفل والراشد سواء بسواء، مما يشكل سببا للبلبلة والاضطراب في الفكر والانتماء .

---

(١٤) د. بهية الجشي، مصدر سابق، ص١٠.
(١٥) د. بهية الجشي، مصدر سابق، ص١٢.

ويعبر ياسر المالح أجمل تعبير عن هذا الواقع في حديثه عن واقع ومعاناة الاعلامي العربي. فهو رجل برامج ووسائل. يتوجه إلى جمهور عريض متنوع الاهتمامات. انه مولع بالامتاع والمؤانسة ومغرم بالبهر والابهار. يعيش في عالم من التنوع الهش الذي لا يثبت على المجادلة. ورغم تعبه ومتعته فهو قلما يحفل بخطة أو منهج، وقلما تكون له أهداف واضحة يريد تحقيقها على المدى الطويل. والاعلامي محشور، مضغوط بالوقت، ليس لديه فرصة للتخطيط الأمثل. انه محكوم بالمادة المنتجة محليا وأجنبيا، ومحكوم بساعات بث يجب أن يملأها. ولذلك فهو قلما يدقق فيما يرد اليه من غث أو سمين. . لا تدقيق الا فيما يتعلق بالتوجهات الرسمية للدولة والأخبار وما شابهها، حيث لا تساهل في نشرة الأخبار الموزونة بالقيراط، أو التعليق السياسي الذي يعبر عن موقف الدولة الذي يتعين عليه الالتزام بعرضه دون اجتهاد[١٦].

يعود هذا الواقع الذي عبر عنه المالح بأسلوب وجداني إلى اشكاليات تصيب الاعلام العربي عموما من اذاعة وتلفزة، كما أبرزتها الدراسة المسحية الشاملة التي أجراها المجلس العربي للطفولة والتنمية في ١٢ دولة عربية.

فإضافة إلى قلة الوقت المخصص لبرامج الأطفال في كل من الاذاعة والتلفزيون أظهرت الدراسة عدم وجود معايير علمية فنية لتقويم البرامج (سواء المستوردة أو المنتجة محليا)، فالتقويم يرتكز على الاجتهاد الشخصي للمسؤولين عن الجهاز، ضآلة الميزانيات، ندرة العاملين وقلة تدريبهم، عدم توفر الاختصاصيين (كتّابا ومخرجين)، عدم توفر استوديوهات حسنة التجهيز، عدم توفر مقدمي برامج مدربين، ضعف الانتاج المحلي أو قلته أو انعدامه في المجالات المحببة لنفس الطفل (من مثل الرسوم المتحركة والمسلسلات والأفلام ومسارح الدمى والأغاني والسيرك)، استيراد معظم هذه البرامج بدون تكييف للبيئة المحلية حتى على الصعيد اللغوي أحيانا[١٧].

هذا بينما نرى أن الغرب الذي يصدر لنا المادة الاعلامية المتلفزة يولي أكبر العناية

---

(١٦) ياسر المالح، «التربية والاعلام، تنسيق أم تعاون أم تكامل، وتجربة افتح يا سمسم النموذجية»، **ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين**، مصدر سابق، الجزء الثاني ١٩٨٦، ص٤٢٩ - ٤٣٠.

(١٧) المجلس العربي للطفولة والتنمية، مصدر سابق، ص٥٢ وما بعدها.

لبرامج الأطفال. ففي كندا الفرنسية يبث التلفزيون ٢٠ ساعة أسبوعيا للصغار، وكذلك تبث محطة بي. بي. سي الانجليزية ٢٠ ساعة أسبوعيا يقوم باعدادها ٣٠ فنيا واختصاصيا بدوام كامل. أما السويد فلديها ٤٠ فنيا واختصاصيا متفرغين لاعداد برامج الأطفال. وهناك تربط برامج التلفزيون بالحياة في أفراحها واتراحها ومشكلاتها، كما تقترح وسائل لفهم وضعيات الحياة وايجاد الحلول لها[١٨].

خلاصة القول أنه رغم الجهود الطيبة التي تبذل على صعيد تعزيز دور الاعلام في التنشئة الإجتماعية خليجيا، فان تعاظم الاستهلاك الاعلامي في حالة من انعدام التكافؤ ما بين المستورد منه والمنتج محليا في الكم والنوعية ودرجة التأثير، يولد حالة أميل إلى التفاقم من تعرض عملية التنشئة إلى مؤثرات تفلت من السيطرة بمقادير متفاوتة، ولا تتمشى مع الأهداف الوطنية ــ العربية ــ الاسلامية والمستقبلية. فالاعلام المستورد بحالته الراهنة ليس مصمما بالأصل لخدمة هذه الأهداف، هذا اذا لم يحرف التنشئة عن مسارها المبتغى، وهو مما لابد من التعامل معه، ويزيد من خطورة هذا الواقع ويفاقم درجة الاختلال ما بين المحلي والمستورد، حالة الوسائط الأخرى للتنشئة الإجتماعية. فهذه تمر راهنا على الصعيد الخليجي بحالة تراجع واضحة عن لعب دورها النشط تقليديا. ونعني بذلك تراجع دور المدرسة والأسرة والمؤسسات الإجتماعية والثقافية الأخرى، ومختلف الأنشطة الحياتية والمعرفية التي كانت تؤسس عمليات التنشئة تقليديا وتعطيها طابعها الوطني المميز. يحدث هذا التراجع ازاء تزايد وزن وكثافة الاعلام المستورد في حياة الطفل وأطره المرجعية اجتماعيا وتربويا. وهو ما يبرر فعلا الجهد الذي نحن بصدده. فما هو واقع التنشئة الإجتماعية في المجتمع العربي الخليجي؟ ذلك ما سيتعرض له الفصل الثاني بالبحث.

---

(١٨) ميشيل شوسون **الطفل والتلفزيون**، المعهد القومي الفرنسي للبحوث السمعية والبصرية، ترجمة المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، اتحاد الاذاعات العربية، (بدون تاريخ).

الفصـــل الثانـــي

واقع التنشئة الإجتماعية في المجتمع العربي الخليجي

كثيرة جدا هي الدراسات والتقارير حول أوضاع الطفولة والناشئة في الخليج. إلا أن ما يلفت النظر هـو تلك الحالة المتمثلة بانعـدام التوازن في درجة الاهتمام بمختلف أوضاع تلك الطفـولة. فبينما تحظى الصحـة والتعليم والشباب والريـاضة والأمـومة ورعاية المعاقين وتنسيق الخدمات المقدمة على هذا الصعيد بدرجة عالية من الاهتمام، فإن مسألة التنشئة الإجتماعية والثقافية لم تطـرح بالمستوى الكافي من العمق والتحديد العلمي. هذا على الرغم من الكلام الكثير عن أوضاع هذه التنشئة في المجتمع العربي الخليجي. فإن ما يطرح وما يقال لا يـرقى إلى المستوى العلمي المضبوط الذي يمكن الحسم بشأنه واطـلاق التعميمات بصدده، إذ يبقى في أغلبه على مستوى الانطبـاعات العامـة واستخلاص الاتجاهـات الكبرى وليس ذلك بمستغرب إذا علمنـا أن مسألة التنشئة الإجتماعيـة تشكل موضوعـا غايـة في التعقيد من حيث الأوجه والمستـويات والأبعاد والمظاهر والخصائص، وبالتالي من حيث صعوبة الدراسة والقياس، وذلك على عكس بقية جوانب حياة الطفولة والناشئة من صحة وتعليم واستهلاك مما يسهل وضع مؤشرات كمية لقياسها.

هـذه الحالة تضفي مـزيدا من الخطـورة على قضية التنشئـة الإجتماعية لأنها تبقيهـا خارج دائرة الضوء، تفعل فعلها بأشكـال قد تفلت من الضبط وحين يترسخ تأثيرها ويتجسد عمليا يكون الأوان قد فات والتغيير لا يعود سهل المنال.

من هنا تنبع الحاجة الماسـة للاهتمام بدراسة واقع التنشئـة الإجتماعية، لانها ترتبط بـالأمن الثقـافي وأمن الهويـة. ويـزيد مـن أهمية وخطـورة بحث مـوضـوع التنشئـة الإجتماعية في المجتمع العـربي الخليجي كونه منطقـة ذات درجة استهداف عـالية من قوى وأطراف وهيئات شتـى، ولأغراض متباينة. إضافة إلى كـونه منطقة استقطاب شديدة ــ نظرا لواقعه الاقتصادي ــ مما يجعل الحفاظ على حياته الإجتماعيـة التقليدية

بمنأى عن تيارات التأثير المتضاربة أمرا متعذرا إن لم يكن مستحيلا. ويزيد من خطورة الأمر التحولات المتسارعة التي طرأت على بناه الإجتماعية ـ الاقتصادية ـ الثقافية داخليا بسبب الطفرة النفطية.

كل ذلك يبين مدى خطورة بحث هذا الموضوع واعطائه أولوية كبيرة في سلم الاهتمامات. وليس هناك من غضاضة أن نبدأ انطلاقا من الدراسات العامة المتوافرة، طالما بقيت حدودها المعرفية ماثلة في أذهاننا مما يجنبنا اطلاق الأحكام القطعية.

يلخص مستشار اليونيسكو الطيب صالح[١٩] المناخ الثقافي الذي يحكم التنشئة الإجتماعية في المجتمع الخليجي خصوصا والعربي عموما بفكرة البلبلة. فقديما كانت الجماعة المحلية تنتج كل ثقافتها المحددة لهويتها ولأفقها الحياتي. أما اليوم فلقد زالت هذه الثقافة بفعل الهيمنة وتضارب المؤثرات الدخيلة. كانت الثوابت الثقافية العربية ثابتة ولكنها لم تعد كذلك: تباينت الأفكار وتفرعت السبل واختلط الحابل بالنابل حقا وصدقا. هناك بلبلة في دنيانا، في الطعام والشراب والمسكن والملبس والمدن والشوارع والاذاعة والتلفزيون والصحف. الرموز التي تعبر عن ذاتنا أصبحت خليطا من أشياء متنافرة.

يبدأ البرنامج التلفزيوني بالقرآن الكريم وينتهي بفيلم أمريكي، تبدأ المجلة العربية بالأخبار المحلية ثم العالمية، ثم صفحات عن الدين وأخرى عن الأزياء في باريس ولندن. ونسمع أصوات المؤذنين إلى جانب موسيقى الديسكو والجاز، وتتجاور بيوت الطين مع أبراج الاسمنت والزجاج.

نحن إذن في حالة بلبلة فكرية تشكل انعكاساتها على الهوية وتعريفها قضية كبرى. ولم توفق وسائل الاعلام برغم نجاحها التكنولوجي الكبير في التعبير عن الحيوية الثقافية والحضارية للأمة العربية ـ وهي حيوية ليس لها نظائر كثيرة ـ ذلك أن هذه

---

(١٩) الطيب صالح، «الذاتيةالثقافية العربية بين التربية والاعلام»، **ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين**، مصدر سابق الجزء الأول، ١٩٨٦م.

الوسائل ليست سوى أوعية نصب فيها ما نشاء. واذا كانت الأفكار مبلبلة أصلا فماذا بوسع وسائل الاعلام أن تفعل؟[٢٠].

حالة البلبلة الفكرية هذه تعبر عن واقع ازدواجية القيم وتداخل المؤثرات وتعدد المرجعيات التي تحكم التفاعل والعلاقات والسلوك، وتمارس تأثيرها تحديدا على التنشئة الإجتماعية. وقبل الخوض في ديناميات هذه المسألة يحسن الوقوف قليلا عند حالة التغيرات الإجتماعية ـ الاقتصادية المتسارعة في المجتمع العربي الخليجي التي هي في أساس ما نحن بصدده.

على عكس بقية المجتمعات التي يتم فيها التغيير بشكل متدرج ـ سواء أكان سريعا أم بطيئا ـ مما يحفظ لها تماسك بناها الإجتماعية ووحدتها الثقافية، مرّ المجتمع العربي الخليجي في العقود الثلاثة الأخيرة بحالة متسارعة من التغيرات الكبرى المتزامنة والمتعددة الأبعاد. يعدد سعد الدين ابراهيم[٢١] ثلاثة منها :

أ ـ مولد الدولة الوطنية.

ب ـ الطفرة المالية النفطية.

ج ـ الهجرة الوافدة على نطاق واسع.

دخلت هذه التغيرات على مجتمعات بدوية بسيطة الاقتصاد ذات درجة عالية من التماسك الاجتماعي والثقافي، فأحدثت فيها تحولات يتعذر على هذه البنى الإجتماعية استيعابها بسهولة والاستمرار في الحفاظ على التماسك التقليدي.

فعلى المستوى الاقتصادي حدثت قفزة في الانتقال من الاقتصاد التقليدي للمجتمعات البدوية إلى حالة من الوفرة المادية. وأدى ذلك إلى فرض قيم مدنية استهلاكية ونظم اقتصادية جديدة. ذلك أن الطفرة النفطية أدت إلى سياسات تنموية مضخمة ومتسرعة على شكل انفاق هائل على البنى التحتية والخدماتية، وانفجار

---

(٢٠) الطيب صالح، المصدر السابق، ص١٢٥.
(٢١) د. سعد الدين ابراهيم، مصدر سابق.

سياسات الاستهلاك من الضروريات إلى الكماليات وصولاً إلى الترفيات بدون الحاجة إلى جهد انتاجي فعلي. وهو ما كان له أبلغ الأثر على تغير القيم والتوجهات السلوكية. ولقد صاحب ذلك عمالة وافدة عربية وأجنبية من جميع المستويات المهنية والتعليمية والثقافية شكلت فيضا ندر لها مثال، إذ تراوحت تبعا لسعد الدين ابراهيم مابين ٥٠ و٨٥٪ من السكان. ولقد تولت هذه العمالة القيام بانجاز مختلف الأعمال مما جعل المواطنين الأصليين في وضع هامشي على هذا الصعيد، ما عدا الاهتمام بالقضايا التجارية والمالية والاشرافية ولقد جلبت هذه العمالة الوافدة معها أساليب عيشها وتعبيرها وقيمها ومعاييرها، مما شكل حالة كادت تغرق في تيارها القيم الأصيلة للمجتمع العربي الخليجي.

وتمثلت المسألة في بلبلة فكرية واجتماعية من ناحية وفي ازدواجية فعلية على صعيد القيم ـ التي تشكل ضوابط السلوك وموجهاته من خلال تحديد الدلالة الايجابية أو السلبية لهذه السلوكات ولمواقف وظواهر الحياة عموما ـ من ناحية ثانية.

ومن أبرز حالات هذه الازدواجية ثنائية قيم البداوة والمجتمع التقليدي من ناحية وقيم المجتمع المديني المسير بعلاقات التجارة والربح والعلاقات الوظيفية. وهكذا تتواجد ظواهر اجتماعية يفرضها اقتصاد السوق والقائمة على المنفعة والمصلحة جنبا إلى جنب مع قيم الولاء والانتماء التي تحكم علاقات المجتمع التقليدي. وكذلك التجاذب ما بين قيم الانفتاح والتسامح السلوكي وقيم المحافظة والتحفظ والتزمت. وكذلك قيم الربح السريع وبمختلف السبل المتاحة، مع قيم الجاه والمكانة الإجتماعية والحفاظ على المقامات.

ومن أبرز تأثيرات هذه الحالة انعكاساتها على الأسرة والتنشئة على شكل رغد العيش والنهل منه، عوضا عن قيم الالتزام والجهد والواجب.

ومن الطبيعي أن يكون قطاع الأسرة والطفولة هو أكثر القطاعات انكشافا لهذه التغيرات والمؤثرات. فالطفولة والناشئة تشكل الكتلة الحساسة المكشوفة في المجتمع لكل تيارات التغيير والتضارب والتناقض والتعدد الثقافي، في تلك الحالة من الانفتاح المفرط، جنبا إلى جنب مع المحافظة المتزمتة. ومن الطبيعي أن تكون التنشئة هي الأكثر تأثرا، وأن تدفع ثمن هذه التحولات المادية والمعنوية والنفسية. ذلك لأن

الطفولة والناشئة تفتقد الأطر المرجعية الذاتية التي تتيح لها الانتقاء ضمن اطار الحفاظ على تماسك الهوية.

لقد أدت التغيرات المتسارعة هذه إلى إحداث تأثيرات إيجابية ملموسة على الطفولة والناشئة، إلا أنها جرّت في الوقت عينه تأثيرات سلبية تشكل تهديدا جديا للتنشئة الإجتماعية.

أما التأثيرات الايجابية فتتمثل في رأي د. سعد الدين ابراهيم[٢٢] في عدة مؤشرات أهمها:

- التحسن الانفجاري في الصحة مقاسة بمؤشر الوفيات وعدد الأسرة والأطباء والسعرات الحرارية في الغذاء، والتي وصلت جميعا إلى أعلى معدلات عالمية لها في مختلف أقطار المجتمع العربي الخليجي.

- القفزات الهائلة في الخدمات التعليمية من أعداد نادرة إلى ما يزيد عن ٨٠٪ ويصل أحيانا إلى ما يقارب ٩٥٪.

- كذلك الخدمات الترويحية والاتصالية: الألعاب على اختلاف أنواعها، القدرة الاستهلاكية التي لا مثيل لها، السفر، التلفزة، الفيديو، الهاتف ومختلف أشكال الاتصال مما شكل حالة انفجار الانفتاح على الدنيا بعد انغلاق، وحالة طوفان مثيرات ثقافية واعلامية بعد بساطة ورتابة.

إلا أن حالة انفجار الانفتاح على الدنيا، كما حالة فيض المثيرات الاعلامية وما يرافقها على صعيد الحياة اليومية من الافراط في تعدد المرجعيات السلوكية والرؤى الحياتية، تحدث في وضعية من تدني الحصانة النفسية والإجتماعية الثقافية، مما يعكس مدى وزن التأثيرات السلبية على التنشئة.

---

(٢٢) د. سعد الدين ابراهيم، مصدر سابق.

أولاً ـ الأســـــرة :

تبدأ المشكلة على صعيد الأسرة. فنتيجة إلى جنوح الوالدين إلى حياة الدعة والترف والاتكالية على العمالة الأجنبية ذات المستوى الثقافي المتدني والمتوفرة بكثرة بدأ الأهل يـديـرون ظهـرهم للتنشئـة وحـل محلهم في ذلك الخدم. فبرزت ظـاهـرة الخدم/ المربيات.

شغلت مسألة قيام الخادمات الأجنبيـات بأعمال تتعلق بتنشئة الأطفال والقيام على شؤونهم الحيـاتية الأسـاسية الأوسـاط المسؤولـة. وأجريت العـديد من الـدراسات الميـدانية في مختلف دول الخليج. ورغم تفـاوت النتائج مـا بين باحث وآخـر، إلا أن هنـاك توافقـا على سلبية تأثير الخادم/ المربيـة على تنشئـة الطفل. وتبلغ هذه السلبيـة أحيانـا حدا تهدد معه النمـو السليم والتوافق المعافى ومتـانة الهوية الـوطنية. ويمكن تلخيص هذه الآثار في المجالات التالية :

١ ـ النمو العاطفي والصحة النفسية[٢٣] :

أبرزت الدراسـات ظهور المخاوف عند الأطفـال الذين ترعاهم خـدم/ مربيات، إضافـة إلى الانطواء والشعـور بالذنب وتقلص القـدرة القياديـة والتعامل النشط مع الحياة. ويمس الأمر فيما وراء هذه الظواهر، صميم شخصية الطفل ومكانته النفسية من خلال وهن العلاقة مع الأم من ناحيـة واضطرابها وتذبذبها ما بين الخادم/ المربية والأم من ناحية ثانية. وينتج أكبر الأثر عن فقدان العلاقة العاطفية المتينة والايجابية، التي تشكل المرجعية الأسـاسية لبنـاء الشخصية المعافـاة. فإذا أضفنا إليـه كثرة تغيير الخادمات، وتذبذب الواحدة من هـؤلاء في تعاملها مع الطفل نظرا لما تتعرض له من أزمات وضغوطات في بيت مخدومها، وبعدهـا عن موطنها الأصلي وحياتها الزوجية والعاطفية، ادركنا مدى دقة الموقف لجهة تأثيره السلبي على النمو النفسي المعافى.

---

(٢٣) قام المكتب التنفيذي بجهـد هام على هذا الصعيد من خلال دراسات ميـدانية في دول الخليج حول تأثير الخادمات الأجنبيات على الأسرة وأساليب تنشئة الأطفال، وأصدر أعمالها في كتاب بعنوان: **ظاهرة المربيات الأجنبيات، الأسباب والآثار**، عام ١٩٨٧م، وتستند الأفكار الواردة في الصفحات القادمة على معطيات هذه الدراسة الميدانية.

ويزيد من خطورة الحالة ايكال أمر النشاطات الحياتية الأساسية للخادم/ المربية: العناية بايقاظ الطفل وتغذيته، ونظافته واصطحابه إلى المدرسة والنزهات والنوم معه أحيانا. ومع أن هذه الأنشطة تبدو روتينية اجرائية لا تمت إلى الحياة العاطفية إلا أن علم الصحة النفسية أثبت بما لا مجال للشك فيه أنها تشكل اللحظات الأهم والأكثر حميمية لعلاقة الطفل بأمه كشخص مرجعي يتمثله ويتخذ منه نموذجا. كما انها تشكل العمليات الأساسية والحاسمة في نشأة وترسيخ العلاقة العاطفية ما بين الطفل والأم والتي يتوقف على مقدار حرارتها وايجابيتها التوازن النفسي والعاطفي للطفل، ذلك أن الحياة العاطفية لا تمارس في فراغ بل تمر من خلال عمليات التفاعل والتواصل هذه مع ما تحمله من طمأنينة وثقة وشعور أساسي بالأمن.

٢ـ النمو اللغوي والذهني:

وهو يشكل المحور الآخر الأكثر تأثيرا في قيام الخادم/ المربية بتنشئة الطفل، والذي أخذ أكبر قسط من الاهتمام. ذلك انه يرتبط بخطر ضياع اللغة العربية الفصحى. وبروز لغة عامية هجينة من مفردات عربية محورة وانجليزية ركيكة وآسيوية، تتمثل في مشتقات وتراكيب لا تشكل بنى معرفية متماسكة ومتينة. ويؤدي ذلك في تقدير حسن الابراهيم[٢٤] إلى تشوه اللغة وتعذر الاستقامة الفكرية عند الأطفال، نظرا لارتباط البنى الذهنية والمعرفية بالبنى اللغوية، وما تؤدي إليه بنية اللغة من رؤية للعالم ومفهوم للذات. فهذه النظم الهجينة تخلق حالة من التشويش الذهني نابعة مما أطلق عليه اسم (برج بابل اللغوي).

فالأمر لا يتعلق فقط بغنى المفردات وسلامتها بل أيضا بأسلوب اللغة ذاته ومدى ارتقائه. فمعظم هؤلاء الخدم/ المربيات لديهن مستوى ذهني وثقافي متواضع مما يجعل الحصيلة التي تمرر إلى الطفل هزيلة على هذا الصعيد، ذلك أن ارتقاء البنى الذهنية والمعرفية يتوقف على مستوى ارتقاء اللغة وأسلوبها. ويرتبط الأمر بالتالي بمسألة نمو الذكاء النظري والمجرد الذي تعيقه اللغة المشوهة والعامية للخادم/ المربية. هذه اللغة تولد نمطا انفعاليا عائما من النظرة إلى الوجود والتعامل معه، نظرا لما يشوبها من خرافية وقطعية وشبه سحرية.

---

(٢٤) حسن الابراهيم، مصدر سابق، ص٥.

وهكذا نرى أن اللغة تتجاوز قضية المفردات كي ترتبط بنمو الذكاء والقدرات المعرفية من ناحية ونمو مفهوم الذات والهوية الوطنية من ناحية ثانية.

٣ ـ التوافق الاجتماعي :

وتتمثل المسألة الأساس على هذا الصعيد في غياب أي مشروع سليم ومتماسك للتنشئة الإجتماعية، حيث يقتصر همّ الخادم/ المربية في تعاملها مع الطفل على تجنب المتاعب والتقليد الممسوخ لما يجري في أسرة مخدومها. ذلك أن ربة الأسرة تشرط رضاها عن الخادم في مدى تلبية حاجات الطفل، والتساهل حتى التراخي معه والنزهات والامتاع وبالتالي التكتم على تصرفاته السلبية. وتؤدي هذه الحالة مبدئيا إلى اعتياد الطفل على الاتكالية المفرطة، والميل إلى افتقاد معنى الواجب والجهد للقيام بشؤونه وتدبر أمره مع قضاياه الحياتية. إنها تجعل منه كائناً استهلاكياً يفرض الحصول على ما يريد من خدمات. وتبرز أنوية الطفل من خلال الرشوة والتراخي معه. وهذا ما يبقيه مركزا حول ذاته، أسيرا لمبدأ اللذة (الانحراف وراء الرغبات والشهوات)، تسلّطياً فوقياً. ومن الآثار السلبية لهذه الحالة افتقاد فرصة تعلم مبدأ التكافؤ وعلاقات المساواة وأخذ الآخر بعين الاعتبار والمشاركة. كما ان من آثارها افتقاد الفرصة لتعلم مبدأ الواقع والشعور بالمسؤولية وترشيد السلوك.

وينتج عن هذا النمط من العلاقة (الطفل السيد/ الخادم) اضطراب مفهوم القانون والسلطة المرجعية. ويؤدي اضطراب هذا المفهوم إلى بذر بذور الصراع مع السلطات الإجتماعية على اختلاف مستوياتها ورموزها ومجالاتها مع ما يرافق ذلك من استهتار وتراخ يهدد التوافق الاجتماعي.

٤ ـ الثقافة والانتماء والهوية الوطنية :

وهو محور يمثل أهمية خاصة على هذا الصعيد. يتعرض الطفل إلى حالة من التضارب في القيم والعادات والدوافع وأنماط السلوك ما بين الخادم/ المربية والأهل. فتتضارب القيم والتوجهات والنظرة إلى الكون ما بين الثقافة العربية الاسلامية والثقافة الأصلية للخادم ويضاف إلى هذا التضارب بدائية القيم والتوجهات والمستوى الثقافي للخادم نتيجة لشيوع الأمية وتفشي الخرافات الناتج عن

الأصول الريفية لهذه الخادم/ المربية. وينتج عن هذا الواقع. حالتان: تشويه الهوية الثقافية مما ينعكس سلبا على الانتماء العربي الاسلامي حيث أن الهوية الثقافية المتماسكة المقومات والمتكاملة العناصر هي التي تشكل الأفق الحياتي والمرجعية الحضارية وبالتالي الانتماء الوطني. ونمو ثقافة تطغى عليها البدائية والخرافة والانفعال مما يعيق نمو القيم الضرورية لمواجهة الحياة المعاصرة وتحدياتها والانفتاح على المستقبل بتحولاته المتسارعة والقائمة على العقلانية والعلم.

ويضاعف من آثار هذه الحالة الواقع التعليمي من ناحية والفسيفسائية الثقافية والاعلامية التي يتعرض لها الطفل العربي الخليجي من ناحية ثانية.

ثانياً ـ المدرسة:

لا يعادل أهمية دور الأسرة في التنشئة سوى دور المدرسة. إذ من نافل القول التذكير بأنهما يشكلان معا الركنين الأساسيين لهذه العملية.

ورغم التحسن الانفجاري في كمية التعليم في المجتمع العربي الخليجي كما سبق أن أشرنا إلا أن هناك من العوامل في العملية التعليمية وتنظيمها ومحتوياتها ما يشكل سببا للتساؤل حول مدى متانة التنشئة الإجتماعية في هذه المؤسسة.

تشير التقارير[٢٥] إلى أن المدارس في المجتمع العربي الخليجي، وخصوصا في المراحل الابتدائية والمتوسطة تضم أعدادا من المعلمين من جنسيات متعددة، عربية وأجنبية وآسيوية. وعلى صعيد الجنسيات العربية نجد تنوعا من مختلف الأقطار العربية. ويذكر أحد هذه التقارير أنه في دولة الامارات العربية يقوم على تعليم الطفل في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة معلمون من ٢٣ جنسية. واذا كانت هذه المعلومات تمثل حالة قصوى، فإنها تعبر عن واقع شائع في المجتمع العربي الخليجي الذي تستعين معظم أقطاره بعمالة تعليمية وافدة كثيفة العدد ومتنوعة الانتماء، نتيجة لقلة جاذبية مهنة التعليم بمتاعبها وأعبائها المعروفة مقارنة بمردودها، بالنسبة لأبناء الخليج. تكمن خطورة هذا الواقع في كونه لا يدخل في تقويم العملية التعليمية

(٢٥) أنظر أعمال **ندوة الطفولة في مجتمع متغير**، مصدر سابق، جامعة العين، ١٩٨٨م.

ومردودها على صعيد التربية والتنشئة الإجتماعية. فحين يتعرض الطفل خلال سنوات التأسيس في دراسته الابتدائية والمتوسطة، حيث ترسى مقومات الهوية والتوجه والانتماء وأساليب التفكير ومقاربة الحياة وقضاياها والنظرة إلى الذات والكون، إلى هذا التنوع المفرط في المرجعيات التعليمية من المتوقع أن تكون نتائجها ليست هينة. فكل معلم من كل جنسية لا يقوم فقط بتغطية منهاج موضوع رسميا، بل هو فوق ذلك وقبله يقوم بتربية من نوع ما. انه يلون العملية التعليمية بطابعه ويصبغها بمرجعيته الوطنية وأساليب تنشئته المعرفية والإجتماعية والقيمية والعلائقية وأسلوب نظرته إلى الحياة. وحين تتعدد المرجعيات وتتنوع وتتفاوت إلى حد التضارب فان البلبلة الفكرية والتشويش القيمي واضطراب الأطر المرجعية تزداد درجتها، مما يحول دون تكوين هوية متماسكة وقولبة ذهنية منسجمة وموحدة. فنحن لسنا ازاء برج بابل لغوي فحسب في هذه الحالة، بل كذلك ازاء برج بابل تربوي ثقافي.

واذا تذكرنا بأي حصيلة تأتي نسبة لا يستهان بها من الأطفال في المجتمع العربي الخليجي من التنشئة الأسرية التي تقوم على الخدم/ المربيات، وجدنا أن هناك تضافرا في العوامل سيحصل، مولدا مزيدا من البلبلة واضطراب المرجعية الثقافية والهوية الذاتية والوطنية. تخلق هذه الحالة ولاشك واقعا هجينا يفتقر إلى الوحدة والتماسك، وبالتالي يفتقد المتانة والمناعة أمام الفيض الاعلامي الهائل الذي بدأ يتدخل في عملية التنشئة.

ولا يقتصر الأمر على هذا التنوع في المرجعيات، بل يضاف اليه على الصعيد المدرسي تقليدية المناهج، وطرائق التدريس واستمرارها في البعد عن التعامل مع قضايا الحياة الساخنة ومثيراتها التي يتعرض لها الطفل باستمرار. هذه الحالة التقليدية تفقد المدرسة القدرة على منافسة وسائل الاعلام بما فيها من مثير وجذاب وممتع ومتنوع وحي، وتفقدها بالتالي الكثير من دورها في التنشئة الإجتماعية.

ويضاف إلى ذلك بالطبع التساهل في معايير التحصيل وشيوع النظرة غير الجادة للمدرسة وما يقدم فيها وما تفرضه من مستلزمات نتيجة لحياة الدعة والبحبوحة وطغيان قيم الاستهلاك السهل.

ويتضح من الدراسات القليلة التي أجريت على محتويات كتب الإجتماعيات مدى فقدان دور المدرسة لوظيفتها في التنشئة الإجتماعية مقارنة بوسائل الاعلام من جانب والنشاطات الترويحية التي يطغى عليها استهلاك الألعاب الجاهزة والمستوردة من ناحية ثانية.

حيث ورد في خلاصة احداها[٢٦] أن المعلومات التي تقدم للطفل في كتب الاجتماعيات تقود إلى منطقة وسطى بين السذاجة المعرفية والتقبل السلبي للمعارف الجاهزة والمنجزة. وهو ما يجعل هذه المعارف غير قابلة للاستثمار الوظيفي في وضعها الراهن حيث تخلو من كل مقومات التعلم النشط من تحليل وتعليل واستنتاج ونقد وتفسير وتساؤل.

كما ورد أن المعلومات تقدم بمعزل عن اطارها الحياتي وبالتالي مفصولة عن الحياة وقضاياها، باعتبارها مسلمات ناجزة ومنتهية لا تفسح المجال أمام المشاركة في بناء المعرفة.

وتورد هذه الدراسة أن من أخطر ما في هذه الكتب من ثغرات هو خلوها من قيمة الانتماء حيث تعد لصورة الانسان السلبي المتلقي الذي لا يتخذ موقفا ولا يبني سلّم قيم خاصة به ويدافع عنه (كل ما في هذه الكتب يحول المتعلم إلى مستهلك للمعلومات المعلبة)[٢٧]. فماذا يفعل الطفل ازاء هذا الواقع؟ إنه سيمارس على الأغلب عملية عزل أو انشطار بين المدرسة وواجباتها وأنشطتها وبين الحياة المليئة بالاثارة والتشويق والاعلام الذي لا ينقطع فيضه. وسيجد هناك الاجابات على ما يبحث عنه من معارف ومتع وأبطال ومرجعيات.

ثالثاً ـ وسائط الثقافة:

تتنوع هذه الوسائط ما بين الكتب والمادة المطبوعة على اختلافها وبين مؤسسات الثقافة التي تؤسس للفكر والانتماء وتساعد على تحديد الأفق الذهني والتوجه الحياتي للطفولة والناشئة.

---

(٢٦) د. نخلة وهبة وآخرون، **الصورة الجانبية للمواطن البحريني في كتب الاجتماعيات**، مركز البحرين للدراسات والبحوث، البحرين ١٩٩١م ـ (غير منشور).

(٢٧) د. نخلة وهبة وآخرون، المصدر السابق، ص١٢٩.

واذا استعرضنا واقع هذه الوسائط عربيا وخليجيا نجد نوعا من التوافق بين الباحثين والمختصين في الميدان على محدودية فعالية الدور الذي تلعبه راهنا في التنشئة الإجتماعية رغم الأهمية الكبرى التي توليها لها الدول التي تهتم بتخطيط هذه التنشئة.

من المتوافق عليه نقص المسارح وقصور الثقافة والمتاحف على اختلافها[٢٨] رغم ما تلعبه من دور في ربط الطفل بثقافته ووضع أسس انتمائه الوطني والتاريخي، إضافة إلى دورها في صناعة المستقبل. الطفل العربي يكاد يكون محروما من مسارح الصغار ومسارح الدمى التي تشكل غذاء دائما للطفل، وأداة فعالة في تنشئته. وكذلك الحال في فرق الفنون الشعبية على اختلافها.. أما قصور الثقافة التي تقدم مادة ثقافية مبرمجة ومنظمة تبعا لاحتياجات العمر واهتماماته فهي لازالت في مجال الآمال والطموحات من قبل القائمين على تنشئة الطفولة.

أما الكتب والمجلات فوضعها بالطبع أفضل حالا بما لا يقاس، فهناك فيض من انتاج واستهلاك المادة الثقافية المطبوعة من مختلف الأنواع والموضوعات: قصص وأدب أطفال، مجلات أطفال، قواميس ومجموعات علمية في شتى المجالات والموضوعات. كما تتوزع المادة ما بين موضوع محلي وبين موضوع مترجم وهو الأغلب. واذا كانت السلاسل العلمية جيدة عموما، فان ذلك ليس هو حال أدب الأطفال على اختلاف موضوعاته وخصوصا القصص والسير الدينية منها والتاريخية سواء بسواء.

ورغم التحسن المطرد في الطباعة والاخراج والألوان، لازالت تعاني هذه الكتب من مشكلات أساسية على صعيد فعالية وظيفتها التوجيهية والنفسية والمعرفية. اذ اتضح من دراسة تحليلية لعينة تمثل تنوعها أن هناك اشكالية أساسية تصادف في معظمها تتمثل في التناقض ما بين الوظيفة التوجيهية والوظيفة النفسية العاطفية. التي تشد الطفل إلى قراءتها بحثا عن حلول لمآزم النمو العادية التي يجابهها من مختلف المراحل العمرية[٢٩].

---

(٢٨) د. فاطمة عباس نذر، **نحو تحديد أولويات واحتياجات الطفولة الخليجية في عقد التسعينات**، دبي ٧ ـ ٩ مارس ١٩٨٩م.

(٢٩) أنظر د. مصطفى حجازي، «أدب الأطفال، الانجازات والاشكاليات»، الفصل الثامن من كتاب **ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة**، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط ١٩٩٠م.

هنـاك فئة منهـا تتمثل بـالانتاج المترجم من نـاحيـة والقصص الشعبية والخرافيـة المحلية من نـاحية ثانية. تلبي هـذه الفئة الحاجات العاطفيـة للطفل وتجعله يقبل على مادتها ويقرأها مرات ومرات ويضعهـا في سلم الأولوية في تفضيلاته، وتجعله يتمثل محتوياتها لأنه يجد فيها صدى لحياته النفسية الحميمة. وتكمن المشكلة في أن مضامينها تحمل توجهات اجتماعيـة سلبية وحتى مضادة لمقومات التنشئة المطلـوبة لأطفالنا على صعيـدي الانتماء إلى الاصالـة والتطلع إلى صناعـة المستقبل في آن. فالانتـاج الشعبي منها مليء بالخرافات والقيم السالبة والحظ والقدرية.

أمـا الانتاج المترجم فهـو ينقل مضامين وتـوجهـات غربيـة تتعارض مع أهـداف التنشئة العربيـة الاسلامية المستقبلية سـواء من حيث المضمون أو الشكل. فهي تضع الطفل في أطر غـربية في الشكل واللـون والصورة والأبطـال والسلوكـات والقيم مما يجعلـه يتمثل هـذه الأطر على حسـاب الأطـر الوطنيـة ذات الغنى المفـرط في الشكل واللون والزخرف والأبطال والقادة والأئمـة، إنما يظل مطموساً أو مهملا فيما يقدم لأطفالنا.

أما الكتب ذات المضمون التوجيهي الايجابي على صعيـد التنشئة الإجتماعية وتعزيز الانتماء وهي كثيرة بدورهـا، فهي تعاني من الاشكـالية النقيضة، أي فيض التـوجيه والوعظ الفوقي الوطني والديني سواء بسـواء مع هزال الأبعاد النفسية العاطفية التي تجذب الطفل إلى الكتـاب وتحببه فيه، لا يجد الطفل العـربي ذاته في هـذه الكتب التي تتوسل الأسلـوب التعليمي أو الفوقي وتملي عليه مـا يجب أن يكون. وهو ان قـرأها بتكليف فلن يتفاعل معها ذاتيا. ستظل محتوياتها على شكل معرفة خارجية لا تنفذ إلى أعماق نفسه ولا تشكل بالتـالي وجدانه، ولذلك فهي تقصر عن تحقيـق هدفها بشكل فاعل، وهو التنشئة الإجتماعية الأصيلة.

رابعاً ـ الألعـــاب :

يشكل اللعب مادة هامة جدا في التنشئة الإجتماعية على مختلف مستوياتها. فاللعب تعبير عن الحيـاة الإجتماعية والألعاب تعبير عن تـاريخ المجتمع وثقـافته[٣٠].

(٣٠) نجلاء بشور، «ألعاب الأطفال، وسـائط لنقل الثقافة أم للتغريب» الفصل الحادي عشر من كتاب **ثقافـة الطفل العربي**، مصدر سابق.

والألعاب هي وسيط لنقل هذه الثقافة إلى جيل الغد . كان اللعب دوما، كما الألعاب مناسبات فعالة كي يمارس الطفل فيها ذاته ويجد مكانته ويظهر قدراته بين أقرانه .

وكانت بالتالي مناسبة هامة جدا لبلورة الهوية الذاتية وتعزيز الانتماء إلى تاريخ وثقافة وتراث أصيل ويعزز من قيمة الألعاب انها تشكل أداة وقناة هامتين لشغل المآزم النفسية . فالطفل لا يلعب عبثا . إنه يلعب ليستمتع ويروح عن نفسه ويفرج ضغوطاته ويشتغل على حل مآزمه النفسية، ويلعب أخيرا ليتدرب على الأدوار المستقبلية .

كان اللعب تقليديا وسيلة هامة للانتماء لأنه كان يتخذ طابع التفاعل الجماعي أساسا : لعب الأدوار، التنافس، ايجاد المكانة، تمثل المعايير والأنظمة والعادات الحاكمة للعب . وكانت الألعاب تمثل الثقافة والانتماء لأنها كانت تصنع من قبل الأطفال انفسهم في المقام الأول وكانت بالتالي تصنع من مادة أولية محلية وتستوحي موضوعاتها من التراث الشعبي ويتحدد شكلها من خلال اللون والزخرف التراثيين أيضا . وكان اللعب يمتزج بالغناء المستمد من الرصيد الثقافي الشعبي كذلك . ولهذا كله فلقد كانت الألعاب تشكل مناسبة ووسيلة في غاية الأهمية في التنشئة الإجتماعية والانتماء والهوية الذاتية والوطنية سواء بسواء .

ومع ازدياد القدرة الاستهلاكية بشكل انفجاري في المجتمع العربي الخليجي وانفجار الانفتاح على الدنيا وفيض تكنولوجيا الاعلام والمعلومات والتقنيات الألكترونية طغت موجة جديدة من الألعاب وأسلوب جديد من اللعب . لم تعد الألعاب تصنع (على ما لهذه الصناعة من أهمية في التنشئة) بل هي الآن تستورد جاهزة . ولم تعد تعكس التراث الشعبي في موضوعاته وألوانه وزخرفه ورموزه وشكله، بل أخذت تنقل حضارة وافدة بكل خصائصها وابطالها وتوجهاتها ورموزها .

بدأت الألعاب المستوردة والجاهزة تطمس التراث من جانب كما تطمس تقاليد اللعب الجماعي بما فيه من تفاعل غني واندماج وانتماء من جانب آخر . الألعاب المستوردة ليس فيها شيء من روح التراث الشعبي العربي ـ الاسلامي . بل هي تقدم أفقا ذهنيا ووجوديا بديلا ومنقطع الصلة بهذا التراث نظرا لمرجعيته الغربية . وقد

يكون الأخطر من ذلك ترسيخ عادات الاستهلاك المفرط للألعاب وبالتالي فقدانها للقدرة التفاعلية النفسية مع الطفل: العاب تشد الانتباه لفترات محدودة ثم تهمل، بحثا عن جديد غيرها وقد يكمن الخطر الفعلي في تقديرنا، في قضاء هذه الألعاب على تقاليد اللعب الجماعي وبالتالي التفاعل الجماعي. ذلك أنها مبنية على تكنولوجيا جاهزة وسهلة التشغيل من ناحية (لا تتطلب ممارسة مهارات فعلية وبالتالي لا تنمي مهارات فعلية) وفردية أساسا من ناحية ثانية. لا يحتاج الطفل إلى الجماعة كي يلعب، بل هو على العكس قد يدفع إلى الانزواء وحيدا كي يلعب (كما هو شائع في الالعاب الالكترونية وألعاب الفيديو)، وهو حين يفعل سيغوص في دنيا لها رموز وتثير تخيلات وتضعه في وضعيات وتحيله إلى مرجعيات تتناقض إلى حد كبير مع أنشطة بناء الانتماء وترسيخه.

طبعا هناك الكثير من الألعاب التربوية ذات القيمة المميزة مما هو مستورد. وهناك محاولات تستحق التقدير لانتاج ألعاب تربط الطفل بالتاريخ والهوية والتراث وتدفعه إلى القيام بدور نشط. الا أن نصيبها من سوق استهلاك الألعاب لا يكاد يذكر، اذا قورنت بما نحن بصدده، مما يكاد يكون كاسحا.

خامساً ـ وسائل التنشئة غير المباشرة:

تمثل هذه المناسبات من أعياد وطنية ودينية وشعائر، وأيام تاريخية واحتفالات عامة وأغان، وأهازيج وعادات، وسائل هامة في التنشئة الإجتماعية.

ذلك أنها تشكل حالة غنية ومكثفة للانتماء الاجتماعي وتحديد الهوية من خلال المشاركة النشطة. إنها تشكل فرصة تمثل الروح الجماعية والتشبع بها.

على أن فيض المثيرات الثقافية والاستهلاكية الوافدة على المجتمع العربي الخليجي بدأ يشكل مزاحمة فعلية لهذه الوسائل، وبدأ يطرح انتماءات بديلة متوسلا القوة الاعلامية والاعلانية الهائلة من ناحية وأساليب العيش والملبس والمأكل والمشرب بكل رموزها الغربية من ناحية ثانية. تتعرض الطفولة والناشئة في المجتمع العربي الخليجي نتيجة لذلك لعملية تنميط واسعة ذات أفق كوني. وبدلا من الانتماء الوطني العربي الاسلامي بدأ يحل انتماء عالمي إلى جيل من الطفولة والناشئة ذات الحظ

والحظوة وذات الحجم العالمي والمرجعية العالمية. إذا أراد الطفل والفتى أن يشعر فعلاً بأنه يساير ركب الحياة ويعيش لحظاته الكثيفة أصبح يتعين عليه ليس فقط استهلاك الموسيقى والأغاني المستوردة بل أيضا طريقة اللبس والزي وأسلوب المظهر، ونوع الأكل والشرب والتصرف وصولا إلى محاكاة كاملة لنموذج ذي خصائص ورموز وقوة تأثير قلّ أن تقاوم. انه جيل الجينز، والتي شيرت، والحذاء الرياضي، والبيبسي، والوجبات السريعة، وموسيقى الديسكو، حيث ربط هذا الأسلوب من الحياة والوجود بالحيوية والشباب.

وخلاصة القول أنه ما عدا التربية الدينية التي لازالت تمثل الدرع الأخير للهوية والأصالة فان التنشئة الإجتماعية في المجتمع العربي الخليجي مهددة فعلا بفقدان مقوماتها الأصيلة، وان مؤسساتها تقع تحت ضغوط كبيرة تحسر دورها وتحجمه. وأن المقومات المتبقية والفاعلة أخذت تفقد قدرتها على الحفاظ على المناعة الوطنية والأصالة العربية الاسلامية. وفي هذا الواقع تمارس وسائل الاعلام الحديثة كامل تأثيرها وتتغلغل في النسيج الثقافي والوجداني للطفولة والناشئة بشكل متزايد باطراد.

ذلك ما يستدعي فعلا وقفة جادة للتعامل مع هذا الواقع الذي لا يمكن الغاؤه أو تجنبه، إنما لازال ممكنا التعامل معه واستيعابه وتحويله من خطر إلى فرصة.

ويستلزم هذا الأمر وصولا إلى استعادة الفعالية، وقفة أمام معنى التنشئة ومقوماتها وديناميكياتها من ناحية، ووقفة ثانية حول التلفزيون وأواليات وأبعاد فعله وتأثيره من ناحية ثانية، كمدخل لرسم معالم اعلان اعلامي.

الفصـــل الثـــالث

التنشئة الإجتماعية ـ تحديدها . . أبعادها . . عملياتها

أولاً ـ تحديد التنشئة الإجتماعية :

التنشئـة في اللغـة مـن مصـدر نشأ أي ربّى وشبّ ، ارتفع عن حـد الصبـا وبلغ الادراك . ونشّأه تنشئة ربّاه . ونشأ في بني فلان أي تربىّ بينهم . والانشاء هو اخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل .

أما مرادف تعبير التنشئة الإجتماعيـة في اللغة الأجنبية (Socialization) فيعنـي واقعة تنمية علاقات اجتماعية ، وتشكيل الأفراد في جماعة اجتماعية أو مجتمع . ويتم التوكيد هنا على عنصر الاشتراك والمشاركة من خلال اثارة وتنمية روابط اجتماعية بين الناس .

وبـذلك تصبح التنشئـة الإجتماعيـة لغويـاً تلك العمليـة التي يشبّ فيهـا الطفل ويتربىّ من خلال تـدامجه الاجتماعي مع الجماعة أو المجتمع الـذي ينتمي اليه ، حيث هناك عملية نمو وعملية انتماء وتدامج .

تعريفات التنشئة الإجتماعية في علم النفس كثيرة . فـالدكتور أحمد بدوي يقول في قـامـوسـه[٣١] (بأنها تلك العمليـة التي يتم فيها انتقـال الثقافـة من جيل إلى جيل ، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة) .

فهناك اذن عملية انتقال للثقافة من ناحية ، واسلوب في تشكيل الأفراد وصولا إلى انتمائهم إلى تلك الثقافة من ناحية ثانية .

---

(٣١) د. أحمد زكي بدوي، «مصطلح تنشئة اجتماعية»، **معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية**، مكتبة لبنان ١٩٨٢م.

ويذهب الدكتور سعدالدين ابراهيم[٣٢] إلى أن التنشئة الإجتماعية هي تلك العملية المجتمعية التي يتم من خلالها تشكيل وعي الفرد ومشاعره وسلوكه وعلاقاته بحيث يصبح عضوا فاعلا متفاعلا ومنسجما ومنتجا في المجتمع.

يتم التركيز هنا أيضا على العملية المجتمعية من ناحية، وعلى مسألة تشكيل الطفل من ناحية ثانية، في مختلف أبعاد شخصيته، ليس فقط من أجل الاندماج والانتماء، بل من أجل اكتساب العضوية الفاعلة والمنتجة، مما يبين مدى شمولية عملية التنشئة الإجتماعية.

وقبل الخوض في أبعاد هذه العملية لابد من الوقوف قليلا عند تعريف بدوي حول مسألة نقل الثقافة من جيل إلى آخر والانتماء إلى الثقافة. ولابد اذن من تحديد سريع للمقصود بكلمة ثقافة هنا. فالثقافة لا تقصد هنا بمعناها الأدبي أو الفكري أي ذلك الانسان الذي تزود بحصيلة معرفية وفكرية تميزه عن العامة. بل المقصود بها الثقافة الإجتماعية التي هي إلى معنى الحضارة أقرب.

فالثقافة اجتماعيا هي تلك المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والفن والحق والأخلاق والأعراف وكل الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع. وذلك ما قصد اليه الدكتور سعدالدين ابراهيم بالحديث عن وجدان الشخص ومشاعره وأفكاره. فهي تشكل الأفق الذهني للشخص كما تشكل النظرة إلى الذات والكون في نفس الوقت الذي تحدد فيه الأطر المرجعية للعلاقات والتفاعلات والسلوكات والأدوار.

وهكذا فالتنشئة الإجتماعية تصبح عملية متعددة الأبعاد تمثل نسقا أو نظاما مترابطا يتضمن عدة مقومات، هي مقومات الثقافة وأبرزها ما يلي[٣٣]:

- التكنولوجيا: وتضم تقنيات العمل والحرب واللعب والجد وتتفاوت هذه التكنولوجيا من مجتمع لآخر في نوعها ومحتواها واسلوب ممارستها وأهميتها.

---

(٣٢) د. سعدالدين ابراهيم، مصدر سابق، ص ٤.

(٣٣) فؤاد شاهين، «علم الاجتماع ومفهوم الثقافة»، **مجلة الفكر العربي**، العدد ١٤، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦١ وما بعدها.

ـ الترتيب الاجتماعي : ويتمثل في التنظيمات الحقوقية والاقتصادية والسياسية والقرابية والتعليمية أو التدريبية. وهي تتفاوت في المحتوى واسلوب الممارسة أيضا.

ـ التركيب اللغوي أو الرمزي : ويتمثل في اللغة المحكية والمكتوبة والاشارات والرموز. ويعتبر بعض العلماء ان التركيب الرمزي يشكل لب الثقافة حيث نظروا إلى كل التفاعلات والممارسات من خلال هذا البعد الرمزي.

ـ التركيب المعتقدي والديني : الدين، المعتقدات والماورائيات والأخلاقيات على اختلافها ويضاف اليها الأساطير.

ـ التركيب الجمالي : ويتمثل في الفنون والآداب والتعبير من خلال الشكل واللون والايقاع.

ـ تتفاعل هذه التراكيب جميعا في مختلف عناصرها وفيما بينها لتعطي تلك الصيغة أو النسق المميز لثقافة مجتمع من المجتمعات. كما تختلف في وتائر تطورها مما يعطي المجتمع تلك الخصوصية الدينامية المميزة لحركته وتاريخيته.

تتضمن عملية التنشئة الإجتماعية كل هذه الأبعاد في تفاوتها وتفاعلها وتؤدي إلى قولبة الأفراد أو تنميطهم تبعا لنظامها المميز. وذلك ما تحدث عنه علماء الاجتماع الحضاري تحت عناوين الشخصية المنوالية أو الشخصية القاعدية. أي تلك الشخصية ذات الملامح والتوجهات العامة التي تمثل القاسم المشترك لجميع أفراد مجتمع ما أو ثقافة ما. ويعيش الفرد بعد المرور في عملية التنشئة الإجتماعية هذا النظام أو النموذج الثقافي كطريقة في الوجود تعتبر مثالية ومرجعية وطبيعية، أي انه يشكل المرشد والضابط لسلوكهم وتوجهاتهم.

تشكل الثقافة التي تقولب وتنمط الأفراد حالة اجتماعية تتجاوزهم، ولذلك درج العلماء على المقارنة ما بين السلوك الغريزي والسلوك الثقافي الاجتماعي. إلا انه في حالة الانسان فإن الثقافة تشكل الغريزة بالضرورة. فليس هناك انسانيا غرائز محضة تنشط بمعزل عن أنماط التنشئة وأطر الثقافة.

ان الثقافة الإجتماعية ليست ثابتة إلا في بعض المجتمعات الأولية المعزولة، بل هي تمر بحالات من التغيير تتفاوت في شدتها ووتيرتها تبعا للدينامية الداخلية للمجتمع من ناحية وللمؤثرات الخارجية وقوتها ودرجة انفتاح هذا المجتمع من ناحية ثانية. وتتوقف قوة الثقافة على مدى دينامية وحيوية تراكيبها وانسجامها. وإلا فإنها تقع تحت ضغوط المؤثرات الخارجية مما يهدد وحدتها وأصالتها. وينعكس ذلك كله بالطبع على عملية التنشئة الإجتماعية ومدى اتساقها وانسجامها ومتانتها أو اضطرابها وتشوشها.

المسألة الأخرى في التنشئة هي تنوعها وتفاوتها في أي مجتمع تبعا لمختلف شرائحه السكانية وخصائصها الإجتماعية الاقتصادية والفكرية والمعتقدية. فالتنميط يبقى اطارا عاما يتضمن درجات كبيرة من المرونة كلما ازداد تعقيد البنى الإجتماعية وارتفعت درجة دينامياتها الداخلية وانفتاحها على الخارج. هذه المرونة تسمح بالعديد من أنماط التكيف الفردي ضمن اطار الهوية الثقافية العامة. كما انها تتيح امكانية الاختيار وما يصاحبه من تغيير وتنوع وتجديد وحيوية وابداع.. إلا ان هذا التنوع في التنشئة الإجتماعية لا بد ان يظل ضمن الاطار العام للثقافة وإلا تفككت عملية التنشئة وتبددت الهوية وبرزت حالات العزلة والتهميش والتمرد.

المهم في كل ذلك بالنسبة لموضوعنا ان نؤكد على ان عملية التنشئة تتضمن في المجتمعات الدينامية المتطورة هدفين أساسيين :

١ ـ يتمثل أولهما في القولبة الثقافية والانتماء إلى حضارة لها فرادتها وأصالتها وتاريخيتها مما يحدد قوة الهوية الوطنية.

٢ ـ ويتمثل الثاني في الاعداد للأدوار المنتجة اجتماعيا وصولا إلى الاعداد لصناعة المستقبل وتولي زمام المصير.

ويكتسب هذان الهدفان أهمية متساوية، ولا بد ان ينجزا بشكل متفاعل ومتواز على الدوام، إذا أراد المجتمع الدخول في ركب الحضارة والمشاركة في صناعتها.

إن واقع المجتمع العربي الخليجي بما له من أصالة حضارية وبما يتعرض له من

تغييرات متسارعة من ناحية ثانية لا بد أن يتبنى هذين الهدفين لعملية التنشئة : الأصالة العربية الاسلامية والاعداد للمستقبل وصناعته في آن معا .

ثانياً ـ أبعاد عملية التنشئة الإجتماعية :

تنبع أهمية التنشئة اذن من وظيفتها الأساسية في تحويل المولود الجديد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي . وتبدأ هذه العملية قبل الميلاد وتستمر بعده . وتحتل مكانة هامة جدا خلال سنوات الطفولة وصولا إلى الرشد . إذ خلال هذه السنوات الحاسمة تتم عملية الانتماء الاجتماعي وتتشكل أسس الهوية الذاتية . وهكذا تشكل التنشئة احدى أهم خدمتين يقدمها المجتمع لأبنائه وهما الحفاظ على الحياة واشباع الحاجات البيولوجية من جانب وخدمات التدامج الاجتماعي والعضوية الفاعلة من جانب آخر . . حتى الخدمات الأولى تدخل أصلا في اسلوبها ووتيرتها وموضوعاتها في تحديد عملية التنشئة .

للتنشئة الإجتماعية بعدان : المجتمع من ناحية والطفل من ناحية ثانية ، وذلك على عكس النظرة التقليدية الفوقية أحادية الجانب التي تدخل العملية في حالة من التبسيط المخل أو التضليل غير مأمون العواقب .

كانت النظرة التقليدية تعتبر الطفل مادة خاماً ، نشكلها كما نشاء ، أو صفحة بيضاء يخط عليها المجتمع ووكالاته ما يريد من الآثار والأشكال والألوان الثقافية ، وكان ينظر إلى الطفل على انه كائن متلق يخضع لآلية عملية التنميط بشكل فاتر . إلا ان دراسة حالة المجتمعات المعقدة والمفتوحة على العالم الخارجي تثبت أن التنشئة هي عملية تفاعل وتواصل غني ومتعدد الجوانب ما بين المجتمع والطفل . انها عملية تواصل في اتجاهين من المجتمع إلى الطفل وبالعكس منه إلى المجتمع . وكما أن للمجتمع غاياته التي يريد تحقيقها في تنشئة أبنائه كذلك فإن للطفل دوافعه وحاجاته للانخراط في عملية التفاعل هذه . ولا مبالغة في القول بأن نشاط الطفل في عملية التنشئة يعدل نشاط المجتمع ذاته فالطفل ليس كائنا بيولوجياً مغلقاً على ذاته ينتظر فعل الوسائط الخارجية لاخراجه من عزلته وفرديته ، بل هو منذ البداية كائن في علاقة وباحث عن العلاقة ومثير للتفاعل مع محيطه . وهو يتمتع فطريا بشهية

للتفاعل والتواصل والانتماء والانـدماج تثير المحيط من حوله. وبقدر مـا يكون هذا المحيط متحفـزا ومتجاوبـا مع الطفل ويقـدم لـه المثيرات الملائمة تـزداد فـرص غنى وارتقاء التفاعل الاجتماعي وتترسخ عملية التنشئة.

ليس المجتمع وحده هو الذي يريد للطفل أن يكون كائنا اجتماعيا، بل ان الطفل، باعتباره مشروع وجود انساني، أي وجود في صلات، كائن ينشد التدامج والانتماء.

وهكـذا فإذا أردنا لعمليـة التنشئة أن تنجح علينـا أن نتفهم التفـاعل بين طرفيهـا وأولياته ووسائطه. علينـا أن نفهم ماذا يريد المجتمع من الطفل وكيف السبيل إليه من ناحية، وماذا يريد الطفل من المجتمع وكيف يصل اليـه من ناحية ثانية. والواقع أن عملية التنشئة الإجتماعية لا تتم بيسر وتنجح في العادة إلا لأن المشروعين (مشروع المجتمع ومشروع الطفل) متـلاقيـان في حالـة من الاعتماد المتبـادل والتكـامل وذلك بصرف النظر عن دور كل من الطرفين ووزنه.

١ ـ ما ذا يريد المجتمع من الطفل، وما هي وسائله ؟

أصبح معروفا أن المجتمع يتوسل في عمليـة التنشئة أن يصبح الطفل عضوا كامل الانتماء، قادرا على القيام بأدواره ووظـائفه التفاعلية والمؤسسية والانتـاجية، متمثلا للمعايير الإجتماعيـة والقيم والتوجهـات. ان المجتمع يريد أن يستـوعب الطفل كل التراكيب الثقـافيـة التي أسلفنـا الحديث عنهـا: التركيب التكنـولـوجي والاجتماعي واللغوي الرمـزي، والديني المعتقدي، والجمالي، يهتدي بها ويفعلها في سلـوكه. انه يريد له الانتماء من ناحية والقيام النشط بدوره في صناعة المستقبل من ناحية ثانية.

ويتوسل المجتمع في ذلك مؤسسات ثقافية رسمية وأخرى غير رسمية.

١ ـ ١ ـ **المؤسسات الرسمية** : وهي تشكل الوسائط الحتمية والمفروضة لعملية التنشئة حيث تتدخل لتؤطر الطفل وتوجـه حياته وتشكلها في مراحلها المبكـرة. كما انها تستمر في ممـارسة تـدخلها المفـروض فترة طويلـة من الزمن. وأهمها بالطبع الأسرة والمدرسة.

١ ـ ١ ـ ١ ـ **مـؤسسـة الأسرة** : انها الأكثر تأثيرا وتـدخلا في حيـاة الطفل مما يجعل

دورها حاسما على جميع مستويات هذه الحياة وأبعادها، رغم تدخل العديد من الوسائط والمؤسسات الجديدة في هذه العملية في المجتمعات المفتوحة والمعاصرة. ويصيب تأثير الأسرة أبعاد حياة الطفل الجسدية والمعرفية والعاطفية والسلوكية والإجتماعية على الصعيد العلني المباشر وعلى صعيد آخر خفي وغير مباشر مما يجعل تأثيرها حاسماً.

هناك ما تنقله الأسرة من قيم وانتماءات وولاءات ومعايير ونظرة إلى الذات وتحديد لها ومواقف من مختلف القضايا الإجتماعية، والمثل العليا الملزمة منها والمرغوبة، وكذلك مفهوم القانون والمسموح والممنوع. تشكل هذه المقومات قطاعاً هاماً من البنية الفوقية المعيارية لهوية الطفل وانتماءاته وتوجهاته. فالأسرة هي المؤسسة الرئيسية في نقل الميراث الاجتماعي سند الهوية الوطنية.

إلا أن تأثيرها يتجاوز هذا المستوى العلني وصولا إلى المستوى اللاواعي الخفي الذي يحرك السلوك والعواطف والمواقف بدون وعي الشخص. فهناك أنظمة الرضاعة والفطام والتدريب على النظافة وضبط وظائف الجسد تكون أنماطا مختلفة من الشخصية تطبع الحياة بأسلوبها وهو أساس الشخصية القاعدية التي أشرنا إليها.

وهناك بالتوازي مع ذلك أنظمة العلاقة في الأسرة بين الوالدين من ناحية وبينهما وبين الأبناء من ناحية ثانية فعليها تتوقف الصحة النفسية وبها تتحدد التوجهات السلوكية والعلائقية من تسلط أو مساواة، وعقلانية أو انفعال، ومرونة أو تصلب، ومشاركة أو تفرد، واستقرار أو تذبذب، وتفاهم أو صراع. انها لا تحدد التوازن النفسي فقط بل تحدد اسلوب مواجهة الطفل للأحداث والناس. ويدخل ضمن ذلك بالطبع ادوار الذكورة والأنوثة وما يتميزان بهما من مساواة أو استبداد وتبعية اتكالية أو استقلال. وعلى هذا الصعيد ينقل الأهل إلى ابنائهم موروثهم الثقافي والنفسي اللاواعي الذي يلعب دورا حاسما في توجيه السلوك. وتحديد المواقف بشكل يتجاوز العقلانية وممارستها.

ويأتي في المقام التالي المناخ الثقافي والفكـري للأسرة كما يتحدد بما يتوفر لها من حصيلة. ومن خلال غنى هذا المناخ تغرس بذور الغنى الفكري وتفتح الامكـانـات المعرفيـة وصـولا إلى الابداع ومـن خلال فقـره أو خرافيته تتحـدد النظرة الانفعالية الخرافية إلى الوجـود وما يستتبعها من تعطل العقلانية في التعامل معه.

ويحتل الـدين مكانتـه المميزة فيما تقـوم به الأسرة من تنشئـة اجتماعية. وتـزداد أهمية الـدين نظـرا لبعـده الايماني الذي يبلغ أعمـق مستويـات النفس ويبني أفقهـا الـوجـودي. وتتعـزز الهويـة والانتماء من خـلال المشـاركة الـوجـدانيـة في شعائر الـدين ومنـاسبـاتـه وأعياده ورمـوزه وتعـابيره، مما يضع الطفل في جـو ثقـافي كثيف. هذا البعـد الايماني في امتداده الماورائي يربط الطفل بوحدة الجماعة وتراثها بروابط وثيقة.

من هنـا يتضح لنا مدى أهميـة قيام الأسرة في المجتمع العـربي الخليجي بأدوارها في التنشئة الإجتماعية. فالمسألـة ليست اشباعا لحاجات مادية يمكن تفـويضهـا لأجير أو بـديل. انها بنـاء الشخصيـة وبنـاء الانتماء ووضع أسس حياة الجيل بما تتميز به من أصالة عربية اسلامية لا يمكن تفويض أمـرها إلى عمالة وافدة، وصناعـة مستقبل لا يمكن الاطمئنان إلى سلامة منطلقاته إلا من خلال المعنيين به.

٢ ـ ١ ـ ١ ـ **مـؤسسة المدرسـة**: أخذت المدرسة تلعب دورا متـزايدا في التنشئة مع تعميم التعليم وامتـداد مراحلـه. فالمدرسـة تمرر التوجهـات الوطنيـة والفكرية والإجتماعية والوجدانية، من خلال المناهج الرسمية والكتب التي لا تنقل المعـرفـة فقط، بـل هي تقـولب الطفل في تـوجهـه نحـو المجتمع والوطن والتـاريخ. الا ان المدرسة تقوم إضافـة إلى هذا الجهد الرسمي في التنشئة بجهد اكثر خفاء وعمقـا وانتشارا من خلال ممارسة السلطـة والنظـام وأنماط العـلاقـات في الصف ومع الادارة والجهـاز التعليمي والـرفاق. كما انها تحدد النماذج المرغوبـة للسلوك مـن خلال صورة التلميذ المثالي أو المشاغب، النجيب أو الفاشل.

وتشكل المدرسة مجالا حيويا لتأثير جماعات الرفاق وما تحمله هذه الجماعات من موجات الثقافة الفرعية المحلية منها أو الوافدة لكل رموزها وطقوسها وتفصيلاتها مما يجعلها ذات قوة جذب عالية، خصوصا أنها ليست مفروضة. الا انها ذات تأثير لا يقاوم نظرا لحاجة الطفل إلى الانتماء إلى هذه الجماعات وبالتالي الامتثال لمعاييرها وتوجهاتها، ونظرا لنظام التساند المتبادل والعدوى الانفعالية وظاهرة الآخر كمرآة للذات.

هذا الواقع يفرض الاهتمام الجدي بالمؤسسة المدرسية في أنشطتها غير الرسمية. فهناك تحديدا تتم اللعبة الأساسية في عملية التمثل الاجتماعي والانتماء والتوجه. وهو أمر لازال يفلت من اهتمام المسئولين الذين يكتفون بالمناهج والبرامج الرسمية. وهم اذ يفعلون ويدعون التسرب الثقافي الوافد يفعل فعله في أوساط الناشئة بشكل قد لا يخدم أهداف التنشئة الكبرى.

٢ ـ ١ ـ **المؤسسات والوسائط غير الرسمية**: إضافة إلى المؤسسات الرسمية تلعب الوسائط غير الرسمية دورا متزايدا في أهمية التنشئة الإجتماعية. وتمتاز هذه الوسائط في أنها مرنة مفتوحة لا تتسم بدرجة عالية من التقنين، وبالتالي في اتاحتها هامشا هاما للاختيار أمام الطفل والناشىء تبعا لحاجاته ورغباته وظروفه. هذه المميزات تشده اليها لموازنة وطأة التنشئة المفروضة. أما المسألة الأخرى التي تجب الاشارة اليها فهي أن تأثير هذه الوسائط يفلت في أحيان كثيرة من الضبط والرقابة ويمارس تأثيره بشكل خفي غير مباشر. وهو ما يتيح لها أن تتغلغل في نفس الطفل بدون مقاومة اجتماعية. ومن خلالها تتسرب عادة كل المؤثرات الثقافية الوافدة، وتفعل فعلها. وهذا قد يؤدي إلى نشوء حالات من الازدواجية وتناقض القيم والمعايير مما يشكل مدخلا إلى التخلخل الثقافي اذا لم تعط الاهتمام الرسمي الكافي. أما اذا فعل القيّمون على التنشئة فإنها قد تصبح الأداة الأقرب إلى ذات الطفل والأكثر تأثيرا فيه مما يعطي التنشئة زخما هاما ويعزز أسسها وأركانها. ذلك أن كل

الوسائط الثقافية والأنشطة المؤسسية يجب أن تتكامل في عملها.

ونعني بهذه الوسائط كل المثيرات الثقافية المسموعة والمكتوبة والمرئية، وكذلك الألعاب على اختلافها سواء الفردية منها أم الجماعية، العفوية أم المنظمة ضمن أطر مؤسسية، كما نعني بها مختلف الانتماءات إلى جماعات وتجمعات غير رسمية، وكذلك كل المناسبات الإجتماعية من أعياد ومهرجانات واحتفالات وشعائر وموضة في اللبس والأكل والشراب والتسلية والنغم والايقاع والشكل واللون. تملأ هذه الوسائط على الطفل دنياه، وتحرره من همومه وتحمل له الحلول لمآزمه وتحمل له المتعة والتسلية والفرح. ومن هنا مدى شدة جاذبيتها، وبالتالي تأثيرها. ففيها ومن خلالها يستطيع أن يمارس رغباته وارادته في الاختيار ويتفاعل معها تبعا لوتيرته الخاصة، وايقاع رغباته وحاجاته.

لن نستفيض في الحديث عن أهمها، ونعني به وسائل الاعلام المرئية مما سنفرد له فصلا خاصا، حيث يقع في لب اهتمام هذه الدراسة. إنما تكفي الاشارة إلى أن هذه الوسائل غير الرسمية يزداد دورها بمقدار غنى الحياة الإجتماعية وتنوعها وانفتاحها على العالم الخارجي. ولذلك يولي القائمون على تنشئة الطفل أهمية كبرى لها، كما يبذلون الجهد لتنسيق تأثيرها مع تأثير المؤسسات الرسمية في كلٍ متكامل يعطي التنشئة الإجتماعية وحدة التوجه وقوة التماسك وعمقَ الانتشار وثبات الأسس.

٢ ـ ماذا يريد الطفل من المجتمع؟

نشاط الطفل في عملية التنشئة يتكافأ مع نشاط المجتمع اذا لم يزد عليه. فهو أبعد ما يكون عن السلبية والتلقي الفاتر. عالمه ليس صفحة بيضاء فارغة: انه منذ البداية مشروع وجود ينمو نحو التحقق. ينهمك الطفل منذ بداية حياته في الورشة الكبرى لبناء مشروع الوجود هذا فيستهلك الكثير مما يقدم اليه من مثيرات. كما أنه يحاول جاهدا ايجاد الحلول للتحديات والمشكلات التي تجابه بالضرورة بناء مشروع الوجود

هذا. يقبل الطفل على الحياة بشهية كبيرة ويتعامل مع تحديات النمو بلا كلل وصولا إلى الهدف. وهو في موقفه من عملية التنشئة نشط انتقائي متفاعل لدرجة الاثارة والتحريض يقبل على ما يتلاءم مع انجاز مشروعه في النمو، ويعرض عما يتعارض معه، ويتكيف عن غير قناعة مع ما يفرضه الكبار مما لا يلبي احتياجات بناء كيانه مسايرة أو اضطراراً.

مشروع وجود الطفل متعدد الأبعاد والمراحل. يخوض فيه الكثير من المعارك والمحاولات والمجابهات بكثير من الاصرار وصولا إلى تحقيق ذاته. لا يتراجع أو يستسلم إلا بعد أن تنفد امكاناته. فهذا الكائن الضعيف ظاهريا يخفي قوى هائلة وطاقات لا تنضب، يوظفها جميعا في محاولة السيطرة الدائبة على ذاته ومصيره ككيان نام.

وتتساوق معاركه على مختلف الصعد لبناء مشروعه الوجودي. ذلك أن النمو عملية متكاملة الأبعاد والمراحل.

سنركز الاهتمام هنا على تلك الجوانب من المشروع الوجودي ذات الصلة المباشرة بعملية التنشئة بمنظورها الشمولي الذي قدمنا له. ونستعرض أربعة برامج أساسية في هذا المشروع وهي[٣٤] : برنامج السيطرة على العالم الخارجي من خلال المعرفة واكتساب المهارات، برنامج السيطرة على العالم الذاتي من خلال مكاملة العواطف وشغل المآزم الانفعالية، برنامج الانتماء الاجتماعي من خلال بناء الهوية في مختلف أبعادها، وبرنامج التآلف مع الذات والعالم من خلال نمو الحس الجمالي، و تفريج الاحتقان والتوتر النفسي من خلال المتعة والترويح. في كل من هذه البرامج يتم التعامل مع المجتمع ومؤسساته والآخرين وعلاقاته معهم مما يجعل عملية التنشئة الإجتماعية مهمة مشتركة حين تتضافر جهود انجازها.

١ ـ ٢ ـ النمو المعرفي والسيطرة على العالم:

الطفل باحث عن المعرفة منذ شهور حياته الأولى. منذ اللحظة التي

---

(٣٤) انظر لمزيد من التفصيل، د. مصطفى حجازي، «الفصل السادس» من كتاب **ثقافة الطفل العربي**، مصدر سابق.

يستطيع فيها تثبيت نظره على شيء أو تناول شيء وتفحصه وتصنيفه من خلال التذوق (مستساغ ـ منفر). والمعرفة مسألة حيوية بالنسبة اليه، تتعلق بوجوده ومصيره. انه يريد أن يعرف للسيطرة على الذات والعالم من حوله. ولذلك ينخرط منذ الحبو والخطوات الأولى وما بعدها في عملية استكشاف لا كلل فيها للمحيط. كما أنه ينخرط في عملية تدريب لاكتساب المهارات الحسية الحركية (التقاط الأشياء وتفحصها، فكها وتركيبها، المشي، التسلق، القفز..). وكم تعلو ضحكته مع كل انتصار يحققه في هذا التدريب. انها فرحة الانتصار على العجز والاحساس بالسيطرة على واقعه.

والبحث عن المعرفة واكتساب المهارات يشكلان احدى المهام الدائمة لنشاط الطفل في جده ولعبه على السواء. وحين تبدأ اللغة بالظهور يدخل في مغامرة معرفية كبرى. يثابر على تقليد الأصوات واتقان الكلمات وصولا إلى التعبير عن الذات والتواصل مع المحيط. وكلما لقي تجاوبا من هذا المحيط تفتحت شهيته للتواصل والمعرفة. وهو قبل ذلك يستثير المحيط للدخول معه في عملية التواصل هذه.

الطفل يريد أن يعرف كي يكبر. ذلك لأن المعرفة بما هي سيطرة على الوجود وأسراره تقترن بالكبر. انه يريد أن يعرف سر جسده وسر ما يجري حوله (العلاقات بين الوالدين ـ العلاقات بين الأخوة) كما يريد أن يعرف أسرار الوجود الكبرى: الحياة والموت والميلاد والانجاب وظواهر الطبيعة وما يتحكم بها من قوانين. وهكذا تقترن المعرفة كما اكتساب المهارات بالكبر والقوة والوصول إلى حالة من التوازن ما بين الذات والعالم. ومن هنا الأسئلة التي لا تنتهي حوالي السنة الثالثة من العمر حول كل أسرار وظواهر الوجود مما يحرج الوالدين أو يشعرهما بالعجز والجهل ومن هنا الاصرار على ممارسة المهارات بنفسه من أكل ولبس وسواهما.

وشتّان ما بين هذا النشاط المعرفي والتمرن في اكتساب المهارات الحسية الحركية واتقانها وبين ما يقدم في البرامج المدرسية التقليدية من مادة وأسلوب يجانبان الحياة واهتمامات الطفل بها، مما يجعله يبحث عن المعرفة الحياتية الغنية خارج هذا الاطار المدرسي حيث المغامرات والاستكشاف.

تبدأ الاهتمامات المعرفية بالجسد والذات والأشخاص الأقربين ثم تمتد إلى المهارات، ثم تتوسع إلى استكشاف أسرار الطبيعة من حيوان ونبات وظواهر كونية. وتذهب المعرفة في اتساع مداها من الداخل إلى الخارج ومن القريب إلى البعيد. حتى تأتي فترة الطفولة الثانية حيث يهتم باستكشاف قوانين الحياة. ويرافق ذلك تحول من التفكير الحدسي الأنوي (المركز حول الذات) إلى التفكير الموضوعي الواقعي وصولا إلى التفكير الافتراضي الاستنتاجي وما يصاحبه من نمو للعمليات المنطقية وينتهي بالتفكير المجرد الذي يبزغ مع السنوات الأولى من المراهقة. ويكتشف الطفل والناشىء في كل هذه العملية مدى قوة الفكر في السيطرة على الحياة وقوانينها واسرارها وقواها الظاهرة منها والخفية.

المهم في كل ذلك أن الطفل أو الناشىء لا يستكين للتجهيل والصمت. فاذا لم يحصل الواحد منهما على المعرفة من مصادرها الطبيعية (من الكبار حوله) فسيبحث عن معارف بديلة من الأتراب ومن مختلف المصادر المتوافرة في الاعلام والكتب والأحداث الحياتية.

والمهم في ذلك أيضا أن الطفل لا يبقى هكذا فاترا متلقيا يأخذ ما يعطى له. بل هو في حالة نشاط دائم للبحث عن الاجابات على التساؤلات التي لا تنتهي والتي ينخرط فيها تلقائيا وحتميا في محاولته السيطرة على ذاته وعلى الكون. انه يتخذ موقفا انتقائيا مما يقدم له من معارف ومعلومات تبعا للاهتمامات المعرفية لكل مرحلة عمرية.

ولذلك فان غنى المثيرات التربوية التي تقدم للطفل تساعد على تدعيم قدراته المعرفية واعداده لحياة مدرسية ناجحة، بينما اذا هو افتقد هذه المثيرات أو اذا ظلت هزيلة فان التعامل العقلاني مع الوجود سيترك المجال لتعامل آخر انفعالي ـ خرافي وهنا تلعب الوسائط الثقافية المختلفة المكتوبة منها والمصورة والمرئية، وكذلك الألعاب التربوية دورا حاسما. فاللعبة كما البرنامج التلفزيوني كما القصة، تشكل اذا أحسن اعدادها وسيلة لتعزيز التعامل العقلاني مع الوجود وتفتح السبيل أمام سيطرة العقل. من هنا تنبع الأهمية الكبرى التي يجب أن توليها وسائل الاعلام لعمليات التثقيف والبرامج التربوية. ومن هنا تنبع أيضا أهمية الألعاب التربوية. ومن هنا قبل هذا وذاك تنبع أهمية غنى المثيرات الثقافية في المحيط الأسري والعلاقات العقلانية (الحوار، التفاهم، التعليل، السببية، منطق الحياة وظواهرها) بين الآباء والأبناء مما لا يمكن بحال تفويضه إلى أشخاص غرباء.

وتحتل رياض الأطفال دورا حاسما في التعويض عن التقصير في هذه المجالات: تقصير الأهل، ايكال أمر الطفل إلى خادم/ مربية، قصور المثيرات الثقافية، قصور الاعلام وندرة الألعاب التربوية لحساب الألعاب الاستهلاكية. كل ذلك مشروط بالطبع بمراعاة الحاجات المعرفية للطفل في كل مرحلة عمرية.

ولابد في هذا المقام من وقفة سريعة حول مسألة الخيال والواقع وعلاقتهما بالنمو المعرفي. هناك فريق يقف من الخيال موقفا متحفظا معتبرا أن استغراق الطفل فيه يصرفه عن الواقع والتمرس بالتعامل الفعلي معه. كما قد يرون فيه وسيلة للهروب والاكتفاء بالارضاءات الخيالية أمام صعوبات الحياة، وصولا إلى اتخاذ موقف سلبي منها عموما وبالتالي الوقوع في الهامشية.

وهناك على العكس من يدافع عن انطلاق النشاط الخيالي ويشجع نمو التخيل. فالأول قد يشكل حالة التوازن مع تصلب الواقع. اما نمو

التخيل فهو الشرط الضروري لنمو المرونة والطلاقة الفكرية اللتين تشكلان المدخل إلى التفكير الابداعي والقدرة على التعامل المرن مع متغيرات الحياة.

ولاشك أن كلا الأمرين صحيح اذا حدث افراط في نقيضه. فالعقلانية المفرطة كما التمسك المبالغ فيه في التعامل الواقعي مع الحياة يؤديان إلى التصلب الفكري والتزمت والروتين والسير تبعا للمتعارف والمألوف مما يفقد الطفل فرص التكيف مع التغيرات المستقبلية المتسارعة والتي تحتاج مقدارا عاليا من المرونة الفكرية. كما أن الافراط بالتمسك بالواقع وقوانينه يؤدي إلى تصعيد المآزم النفسية التي لا تجد لها حلا نظرا لاختلال التوازن ما بين وطأة الواقع الموضوعي وبين قدرات الطفل على السيطرة عليه. هنا يلعب الخيال دورا هاما في احداث شيء من التوازن يعيد للطفل ثقته بنفسه ويمكنه بالتالي من مجابهة أكثر فعالية لضغوطات الواقع. ولكن لابد من توازن آخر ما بين الحلول الخيالية والحلول الواقعية القائمة على المهارة والقدرة على المجابهة والا انزلق الطفل إلى اللاواقع واستأنس لسهولة الحلول الخيالية.

لابد من توازن إذن ما بين نمو الخيال ونمو القدرة على التعامل مع الواقع المادي المباشر. وهذا ما يفعله الطفل عموما اذا كان يتمتع بالقدر الكافي من الصحة النفسية. انه ينتقل بشكل مستمر ما بين الواقع والخيال، وبين تدريب مهاراته العملية والانطلاق في اللعب الايهامي. ولا خوف عليه من الخيال الذي يشكل حالة ضرورية للتوازن النفسي، كما يشكل مرحلة هامة من مراحل النمو المعرفي والتعامل مع قضايا الوجود. كما أنه لا خوف عليه من الوقوع في التصلب الذهني نتيجة الانغماس في التفكير المحسوس والممارسة المادية طالما انه يتمتع بالعافية النفسية. فالحياة هي توازن دائم ما بين تيارات متناقضة ومتكاملة ما بين اقدام واحجام. وذلك هو تحديدا حال النمو. الوصول إلى التوازن الناضج مابين تيارات الممارسة والحكم، والتفكير الواقعي والخيال.

وطالما نحن بصدد الاعلام فان برامجه يمكن أن تشكل فرصة فعلية لتقديم الزاد المعرفي اللازم اذا عرف القائمون عليه ما هي الاحتياجات العمرية المختلفة، وما هي قنوات النفاذ إلى ذهن الطفل ووجدانه. واذا تجاوزوا الأسلوب الشائع في برامج التعليم التلقيني الفوقي الذي يتحول إلى حشو معارف غير مستوعبة أو قائمة مواعظ ونواهٍ تثقل على وجدان الطفل.

٢ ـ ٢ ـ **الهوية الإجتماعية والانتماء الثقافي:**

الطفل كائن منتم بالأصل وليس بالتطبع، باعتباره كائنا اجتماعيا منغرسا منذ البداية في شبكة من العلاقات المؤسسية انه يحاط بنظام من الرغبات والتوقعات والهوية والدلالة منذ ما قبل الميلاد.

ومنذ بدايات وعيه يتحول إلى باحث دائب عن هويته ومتسائل دائم عن تحديدها. تتحدد هويته الأولى من خلال العلاقة الوثيقة والمميزة مع الأم التي تشكل المعبر إلى معرفة اسمه وانتمائه وهويته الجسدية والنفسية لاحقا. ثم تتوسع الدائرة وصولا إلى الهوية الأسرية، فالانتماء المحلي (المنزل، الحي، المدينة) ثم الانتماء الوطني من خلال الجغرافيا والتاريخ والمناسبات والأعياد والخصائص والتوجهات. وتلعب دائرة العلاقات مع الأتراب والانتماء إلى جماعات الرفاق في المنزل والحي والمدرسة دورها الهام في تحديد الهوية وصولا إلى تمثل (النحن) النفسية الإجتماعية: من نحن ومن ليس بنحن.

وتشكل مرحلة الدراسة الابتدائية فترة حاسمة على صعيد الانتماء الاجتماعي والوطني، اذ انها مرحلة البحث عن البطولات الوطنية والتاريخية والرموز الإجتماعية، والتباهي بالأشخاص المرجعيين الراهنين منهم والأسلاف (خصوصا بعد سن الثامنة). وهي مرحلة الوعي الحاد بالتاريخ الوطني بعد تأسيس التاريخ الذاتي.

كما أنها مرحلة تكريس الانتماءات الأساسية إلى الجماعات الإجتماعية

والالتزام بها والامتثال لقوانينها وأنظمتها وتترسخ في هذه الفترة كل القيم والاتجاهات الإجتماعية. من تسامح أو تعصب، وفردية أو مشاركة، ومبادرة أو انقياد، وتوجه نحو صناعة المستقبل أو استهلاك طفيلي.

وإضافة إلى الانتماء إلى الجماعات القاعدية (أسرة، مدرسة، رفاق، جماعات منظمة أو عفوية) هناك مجمل المناخ الاجتماعي الثقافي الذي يعيشه الطفل والذي يشكل تجربته المعاشة ويكون أفقه الوجودي ونظرته إلى الذات والكون والآخرين.

تلعب الوسائط الثقافية دورا نشطا جدا في صناعة هذا المناخ بشكل مباشر وغير مباشر، مفروض وانتقائي في آن معا. ويزداد تأثيرها العفوي نظرا لحاجة الطفل والناشىء إلى الانتماء وإلى الهوية والمرجعية الإجتماعية.

ولذلك لابد من توجيه عمل هذه الوسائط كي تقدم المادة والمثيرات الثقافية والممارسات والتوجهات التي تعزز الانتماء.

هناك اللغة العربية، أسلوب الملبس والمأكل، خصائص الشكل واللون والايقاع والنغم المميز للحضارة العربية الاسلامية، الوقائع الكبرى والأعياد والمناسبات الوطنية والدينية. رموز التاريخ وعناصر التراث، الألعاب العفوية والتربوية، القصص الشعبية. كل ذلك هو ما يشكل التجربة المميزة التي تغرس في الطفل وتكون مقومات ذاكرته الجماعية. وهو ما يجب أن يعطى كل الاهتمام في تخطيطه وانتاجه وبرمجته بشكل متكامل ومتناسق يعزز بعضه بعضا كي يستوعبه الطفل غذاء حضاريا يجد فيه ذاته ويحددها. الثقافة العربية الاسلامية لابد أن تتواجد في كل هذه العناصر والحالات التي ينقل كل منها خصوصية هذه الثقافة. ولابد من التماسك كي تتكامل عناصر هذه الخصوصية وإلا وقع الطفل في التشويش والازدواجية والتناقض، نتيجة لتعدد العوالم وتباينها مما يزعزع الهوية ويلغم الانتماء. كذلك هو حال المدرسة

وجوّهـا . وخصوصـا أنشطتها اللامنهجيـة من مسرح وأنشطة تـراثية ووطنية . وتقديم الأبطال والرموز التاريخية منقاة من شوائب الوعظ ، ومقدمة على شكـل نماذج شخصية وسلوكية قابلـة للتمثل وذات قدرة عالية على النفاذ إلى ذاتيـة الطفل . ويلعب عالم الشكل واللون والايقاع دورا هاما جدا في تعزيز الانتماء الوطني والحضاري . ولابد من التوكيد في المادة المسرحية أو المكتوبة أو المرئية على عالم الشكل واللون هذا لأنه يحدد روح الحضـارة بما هو تعبير عن أسلـوبها وتوجهـاتها . وهذا مـا لم يعط بعد القـدر الكافي من الاهتمام في عالمنـا العربي . فالهويـة لا تغرس فقط من خـلال التلقين المبـاشر المسيّس ، بل يتم تمثلها بـالأسـاس من خلال المعايشة العفوية والانطباع والتشبع برموزها وأسلوبها .

والواقع أن الطفل العربي عموما والخليجي خصـوصا يقع ضحية غربة متزايـدة عن عـالم الشكل واللون والنغم هـذا الذي يغـرسه في الـزمان والمكان ، حين يتعـرض لهذا الفيض الكثيف والمدروس جيدا مـن هذه العـوالم الوافـدة التي تلغي واقعـه وتحيله إلى واقع مستغـرب . ان ذلك يشكل بـداية الاغتراب والفصـام في عـالمه حين يكون الشكل واللـون والأسلوب المميز لـلأبطال (في القصص والأفلام) الذين يقـدمون اليه ويجد في تفاعله معهم متعته ، مقطوع الصلة بحضارته .

ان وسائط الاعلام كما الألعاب المستوردة الاستهلاكية منها والتربوية ، كما القصص والمادة المكتوبـة ، هي واسطة غـرس الانتماء أو هي وسيلة التغريب وأداته . انها فرصة اذا بـذلنا الجهد لحسن استخدامها ، أو هي مـوضع الخطـر اذا ركنا إلى السهـولـة في تقـديم الـوافد منهـا بصيغتـه الأصليـة فـالترجمة لا تكفي وحـدها ، حيث أن الـرمـوز والأسلـوب والتوجهات لا تترجم بل لابد من تعريبها واعـادة صياغتها جذريا تبعا لمعطيات الحضارة العربية الاسلامية .

٣ ـ ٢ ـ مكاملة العواطف والسيطرة على الذات :

تشكل السيطـرة على الـذات وعـالمهـا الـداخلي الحافل بـالـرغبـات

والحاجات والأزمات المحور الثالث لنشاط الطفل في بناء مشروعه الوجودي. فعالم الطفل الداخلي أبعد ما يكون عن الخواء أو الاستقرار. انه حافل بالدوافع والانفعالات المتناقضة والمتجاذبة والمتصارعة. وحافل بالشهوات والرغبات والأماني والمخاوف والطموحات والأزمات النابعة من التحديات التي تفرضها عليه مراحل النمو المختلفة واختباراتها التي لا تكون يسيرة في الكثير من الأحيان. هناك اذن ورشة شغل لترتيب البيت الداخلي وصولا إلى التماسك والتكامل والانسجام والسيطرة على المخاوف والتوفيق بين النزوات المتعارضة. وتشكل مجابهة الصعوبات والأزمات الداخلية مهمة لا مندوحة عنها عند أي طفل يتمتع بالعافية الجسدية والنفسية.

منذ السنوات الأولى يفرض على الطفل التعامل مع سلسلة من المهام. منها مسألة الهوية الجسدية والجنسية. وما يتعلق بها من مسألة الفروق بين الجنسين. ومنها استيعاب أزمة الفطام والاستقلال الأول عن الاتكالية الطفلية على الأم. ومنها أزمة ميلاد الأخوة والأخوات وما تولده من غيرة وتنافس. ومنها القلق على المصير من مثل الخوف من الانفصال عن الوالدين أو انفصال هؤلاء عن بعضهما البعض، ومايترتب عليه من تهديد بالهجر أو النبذ. ومنها نظام التوقعات التي يحيط بها الأهل كل من أولادهم. ونظام الرغبات الواعية واللاواعية التي يسقطونها على الطفل. ومنها نظام الأدوار التي تناط بكل من هؤلاء الأطفال (أدوار طفلية، أدوار تعويضية، أدوار تحالف في صراع الوالدين مع بعضهما، أدوار تعويضية عما كان يريده الأهل في طفولتهم ولم يتحقق) ومنها نظام التماهيات (الوصول إلى الهوية الجنسية الذكرية والانثوية) من خلال تمثل أشخاص الوالدين وخصائصهم.

ثم يلي ذلك كله الانفصال عن الأهل في أول فعل خروج إلى المدينة مع بداية الحياة المدرسية، والتعامل مع قانون المدينة وما فيه من اختلاف عن قانون الأسرة، والدخول في علاقات وصراعات وتنافس وتبارٍ مع الأقران وعلاقات مؤسسية خارج الأسرة.

ويصاحب ذلك كله ضرورة السيطرة على النزوات والرغبات وتغليب مبدأ الواقع على مبدأ اللذة والمشاركة على الأنوية والفردية والجهد على التبعية. وكذلك السيطرة على تهديد النزوات العدوانية التي تعتمل في نفس الطفل والتي تزيدها الاحباطات الحياتية العادية تأججا يولد القلق في نفس الطفل خوفا على تماسكه الداخلي من جانب أو خوفا من انتقام المحيط من جانب آخر.

مهام كثيرة ومتنوعة تطرح أعباء كبيرة على الطفل في العمل على تنظيم حياته الداخلية وصولا إلى تكاملها تحت امرة الأنا ومن خلال ادخال التوازن بين تناقضاتها وتأمين الاشباعات لها من خلال مراعاة مبدأ الواقع.

في الشغل على السيطرة على العالم الداخلي يبحث الطفل عن وسائل وأساليب متنوعة. وتلعب الوسائط الثقافية والاعلامية التي تهمنا دون ما عداها في هذا المقام دورا رئيسيا في ايجاد هذه الحلول والبحث عن الاجابات على الالغاز الحياتية المطروحة على الطفل.

فاللعب كما الرسم يمثلان وسيلة لتجسيد مآزم الطفل والشغل عليها وصولا إلى حلها. ولذلك يحظيان بكل هذا الاهتمام. خلال اللعب قد يقلب الطفل الأدوار فيعاقب تلك الدمية ويكافيء تلك تماما كما يفعل المعلم أو الأهل. وهو بذلك يتخفف من قلقه ويفرج احتقانه ويستعيد شيئا من توازنه. أو هو يلعب ألعابا تخيف الأطفال الأصغر سنا، فيقلب الأدوار مرة أخرى، حيث يصبح هو ذاته مصدر التهديد للكائنات الأضعف بدلا من أن يكون هو المهدد (بما هو كائن ضعيف).

وتلعب القصص والأفلام أدوارا هامة في هذا الشغل النفسي فهو يتحالف مع بطل القصة أو الفيلم (الكرتون خصوصا) الذي يجسد مآزمه أو يجسد ضعفه وقلقه. ومن خلال مغامرة البطل في القصة أو الفيلم والتي يخرج منها منتصرا، يشعر الطفل بالطمأنينة والثقة بأنه

هو أيضـا يمكن أن يتغلـب على مآزمـه ويتجـاوز ما يتهـدده. انه يجد من خـلال تنـوع الأبطال والمغامرات تجسيدا لمختلف أزمـاته. ولا يتم الشغل عليها مـرة واحدة ونهائية، بـل تصفى هذه الأزمات تـدريجيا. ومن هنا ولع الأطفال بقراءة القصص المحببة اليهم عددا لا متناهيا من المرات. ومن هنا عـدم مللهم من مشاهـدة نفس البطل أو نفس الفيلم طالما لم تحل الأزمات المرتبطة بموضوعه.

هنـا يلعب البعـد الدرامـي النفسي الواعي منـه والـلاواعي أهميـة من الطراز الأول في القصـص والأفلام في جذب الطفـل والاستحواذ على اهتمامه، تبعا لنوع المآزم في مختلف مراحل العمر.

ومن خلال هذه الوظـائف النفسية تتغلغل المسلسلات أو القصص إلى ذات الطفل الحميمة. وهي في تغلغلهـا تحمل معها توجيهات معيـارية وانتمائيـة اجتماعيـة تتنـاقض في معظم الأحيـان مع ضرورات التنشئـة الوطنية. ذلك أن هـذه المسلسلات مشغولة بشكل فني جيـد في غالب الأحيان من نـاحية تلبيتهـا لاحتياجـات الطفل النفسية وحل مـآزمه. ومن هنا تعلقه بها والذي من خلاله تمرر عمليات التنميط والتغريب.

بينما نرى أن المادة الثقافية المنتجة محليا (قصص أو أفلام أو مسلسلات) رغم ملاءمتها على صعيد التنشئـة الوطنية إلا أنها لا تحمل الجواب على احتياجـات الطفل النفسية، ولـذلك يغلب أن يظل تأثيرهـا سطحيا. فالطفل يبحث عما يحتـاجه. ذلك هو ما يشده فعـلا. وهو لا يستهلك بشكل آلي كل ما يقدم اليـه، بل يختار منه ما يتـلاءم مع ورشة السيطرة على عالمه الداخلي. فاذا أردنا النفاذ إلى دنياه والوصول إلى عالمه الحميم فعلينا أن نعـرف ماذا يحتاج ولشغل أي مأزم عنـدها يتقبل منا ما نـريد نحن أن نقدمه اليه من توجيه. وعندهـا ينجح هذا التوجيه لأنه يرتبط برباـط وثيق بالمادة الأكثر نفاذا إلى نفسـه. أما اذا جانبنـا القنوات التي يفتحها لنا إلى نفسه فعبثا نحـاول تنشئـة أو توجيها، لأن جهدنا سيظل إلى القشرة السطحية أقـرب. وهو اذا ما حـدث فان الاعـلام المستورد

هو الـذي سينفذ من خلال القنـوات المفتوحـة إلى ذات الطفل الحميمة لأنه يتضمن الاجابة على تساؤل الطفل أو الحل لمأزمه.

٤ ـ ٢ ـ الحس الجمالي والانسجام مع الذات والكون :

الحس الجمالي من المكـونات الأساسيـة للنفس البشرية والجماليـات هي من الأبعـاد الثابتة لأي ثقـافة. ولـذلك فليس كـالفنون عناصر تـربط العالم الذاتي بأرق احـاسيسه مع عالم الطبيعة والثقافـة. وليس كالفنون مجالا لوحدة الذات مع الثقافة والكون.

الطفل فنـان ومتذوق للجمال بطبعـه. وهو لا يحتـاج إلى من يوقظ فيـه الاحساس بـالجمال أو الاستمتاع به، بل كل ما يحتـاجه هو تغذيـة هذا الاحساس بـالمثيرات الملائمة شكلا ولـونا ونغما وايقاعـا. قبل الكلام يستمتع الطفل بمنـاغاته ويـأنس للايقاع الجميـل. وقبل الكتابة يـأتينا برسمه وتلوينه فرحا بما أنتج وفخورا به.

يرتبط التذوق الفني بمشاعر الحب الرقيقة. ويشكل نوعا من التسامي حيث تكتب الغلبـة للحب على العدوان. ذلك هـو سر حالة الـرضى والتوافق مع الذات والانسجام الداخلي الذي يصاحب التذوق الفني. والتذوق الفني ليس استمتاعا فاتـرا بل هو عملية نشطة تتمثل في اعادة ابتكـاره. وكما ان الاستمتـاع بالفـن وصناعتـه هي لحظـات ظفـر على التمزق الداخلي وتجاوز تنـاقضاته، فانها في الآن عينـه لحظات اتحاد مع الكون. فـالحب المفتوح يفيض على الكـون وصولا إلى وحـدة الداخل والخارج، والتي لا تتم إلا من خـلال التفاعل مع العـالم والمشاركـة في وحدته والاندماج فيه.

الجماليات هي روح الثقافة والمعبرة عن وحدتها وخصوصيتها وخلاصة تجربتها. انها فيما وراء الشكـل واللون والنغم تمثل النظـرة الأصيلة إلى الكـون المميـزة لتلك الثقـافة. ولـذلك فليس مثلهـا بعـد يشكل قـوة

التوحيد بين أبناء تلك الثقافة وعنصر المشاركة بينهم. وهي إلى ذلك لغة الانفتاح على بقية الثقافات والتعامل معها.

وتحتل الجماليات العربية الاسلامية مكانة مميزة في قدرتها التوحيدية. فهي كما بينته بعض الأبحاث[٣٥] تقوم على مبدأ الوحدانية والتآلف (الذي يتجسد في النغم والخط والزخرفة والتجويد وفن العمارة واللون). بينما تقوم الجماليات الغربية تبعا للباحث ذاته على مبدأ التناقض. والفنون العربية الاسلامية تقوم على مبدأ الحركة الانسيابية والانفتاح الذي تشكل المشاركة أحد أهم أركان بنيتها: المتذوق والتذوق جزء مكمل من عناصر انتاجها، مما يمثل عنصر توحيد الجماعة. ولهذا فهي وسيلة هامة من وسائل التوافق مع الذات والتوحد مع الثقافة والأمة.

فالى أي مدى نهتم في عملية التنشئة بتعزيز هذه الوظيفة ؟ والى أي مدى تقوم وسائط الثقافة المكتوبة والمرئية والمسموعة بتقديم الغذاء الكافي من الفنون التشكيلية العربية ـ الاسلامية الأصيلة، والى أي مدى نقوم بالجهود اللازمة لتنقية هذه الجماليات من الشوائب وتطويرها كي يستسيغها أطفالنا ؟ أسئلة كثيرة تثار حول الجواب عليها شكوك جدية. وبمقدار هذه الشكوك تحدث عمليات التسرب الفنية الغربية فتشوش انتماء أطفالنا الى ثقافة أصيلة. هذا اذا لم تدخل البلبلة والتشويش الى نفوسهم.

تمثل هذه المحاور الأربعة برنامج ورشة بناء مشروع وجود الطفل وهي تتكامل فيما بينها كالبناء الذي لا يستقيم إلا بوحدة عناصره وانسجامها. ويضاف اليها محور خاص هو الوظيفة التفريجية المتمثلة بالمتعة والارتياح. فالطفل يقرأ ويلعب ويشاهد ليحلم ويتعلم ويستمتع. والمتعة والترويح لهما دور تفريج المآزم النفسية والتخفف من

---

(٣٥) غازي مكداشي، «موسيقى الأطفال»، الفصل العاشر من كتاب **ثقافة الطفل العربي** ـ المصدر السابق.

ضغوطات الحياة وأعبائها، واستعادة شيء من التوازن يتيح التقدم في مشروع النمو. واذا لم تتح الفرصة لهذا التفريج فان تراكم المآزم سوف يصيب قوى النمو بالشلل أو الجمود. وسوف تتحول طاقات الطفل من وجهة النمو الى وجهة الدفاع ضد تهديد القلق المتصاعد المصاحب لتراكم المآزم.

من هنا القول بأن المتعة والتسلية ضرورة وليست ترفا شريطة أن لا تطغى على ما عداها من المحاور والمهام النمائية.

لا يمكن لعملية التنشئة أن تنجح في الوصول الى أهدافها إلا بمقدار ما تلبي احتياجات بناء مشروع الطفل الوجودي التي عرضناها. فالتلقين والوعظ والتوجيه المباشر لا تفي بالغرض، هذا اذا لم تشكل عوامل تفشيل لعملية التنشئة. وحتى يحصل المجتمع من الطفل على ما يريد عليه أن يقدم له ما يحتاج. ذلك هو المبدأ الأساس الحاكم لدور وسائط الثقافة وعلى رأسها الاعلام في التنشئة الفاعلة.

ثالثاً ـ عمليات التنشئة الاجتماعية :

كما ان هذه العملية ذات بعدين اجتماعي ـ ذاتي، يتفاعل فيها ما يريده المجتمع من الطفل مع ما يحتاجه الطفل من المجتمع فان عملياتها دينامية وثنائية أيضا، على عكس ما يذهب اليه بعض انصار التعلم الاجتماعي القائمة بدورها على نظرية التعلم الاجرائي.

وتتعدد العمليات والآليات من كل من الجانبين: المجتمع كما الطفل. وهي في تعددها تتفاعل وتتكامل وصولاً إلى إرساء أسسها.

١ ـ الآليات الاجتماعية لعملية التنشئة :

عملية التنشئة تبلغ مستوى عاليا من التشعب والتعقيد نظرا لتعدد وتنوع وسائطها الاجتماعية. إلا أنه يمكن التركيز، هنا على تلك المبادىء الأقرب الى موضوعنا وهو

تأثير وسائل الاعـلام وأبرزهـا نظرية التعلـم الاجتماعي القائمة بـدورها على نظـرية التعلم الاجرائي.

تذهـب هذه النظـرية الى أن السلوك مهما كـان نوعـه متعلم. وأن هذا التعلـم هو اجرائي، بمعنى أن السلـوك تحكمه تـوابعه، أو آثـاره. فالطفل كما الـراشد يميل الى تكـرار السلوك ذي الآثـار الايجابيـة ويتجنب السلـوك عديم الجدوى أو ذي الآثـار السلبية. يتوقف الأمر اذن على قـانون التعزيز(٣٦). فالنتائج الايجابيـة تعزز السلوك وتدفع به الى التكرار بينما النتائج السلبية تطفىء هذا السلوك.

وفي عملية التنشئة الاجتماعية يعزز المحيط السلوكات المرغوبة من خلال مكافأتها في نفس الوقت الذي يقلل فيه السلوكات غير المرغوبة من خلال العقاب على مختلف ألوانـه، وهو مـا يسمى بالتعـزيز التفـاضلي حيث تنتقى من بين السلوكـات الطبيعية المتنوعة التي يظهرها الطفل في نشاطـه العفوي تلك التي تتمشى مع توجهات التنشئة في هذا المجتمـع، بينما تعاقب السلـوكات غير المرغوبـة أو هي تهمل ممـا يؤدي بها الى الانطفاء.

ولكن المجتمع يذهب أبعـد من ذلك حين يدفع الطفل الى تعلم سلوكات جـديدة لا تظهر عنده عفويا، وتكتسب هذه أهميـة خاصة في عملية التنشئة حيث يقنن نشاط الطفل في التـدريب على اكتساب المهـارات المختلفة (الحسيـة ــ الحركية ــ اللغويـة ـ الكتابيـة ـ التقنية . . الخ)، ويلجأ الكبـار في ذلك الى عدة عمليات أبـرزها التسلسل والتشكيل والتلقين والاخفاء والنمـذجة، يعني التشكيل تخطيط تعلم سلوك جـديد كـالكتابـة مثـلا أو السبـاحة أو غيرهـا من الأنشطـة وصـولا الى درجة مطلـوبـة من الاتقان، وحتى يتم هـذا التعلم لابد من تسلسل التدريب على خطواتـه أو مراحله. فيتم التدريب على كل خطوة لدرجة الاتقان ثم يتم الانتقال الى الخطوة التالية وهكذا حتى يكتمل اتقان النشاط الكلي (الكتابة مثـلا). وفي هذه العملية يقوم الكبار بتلقين الطفل لأسلـوب النشـاط (الحركات أو الاتجاهـات أو المواقف) الخاص بكل خطـوة ويشجعونه عليه من خلال تعزيز الانجاز واهمال الأخطاء حتى يتمكن من القيام بهذا

---

(٣٦) أنظر من أجل عرض هذه النظرية، جمال الخطيب، **تعديل السلوك**، عمّان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٨٧م.

العمل بمفرده وتتفتح شهيته له من خلال التعزيز (المكافأة أو الاستحسان أو الثناء . . الخ)، وهنا ينسحب الكبار من التلقين ويتقدمون خطوة أبعد.

أما على صعيد تعلم المواقف والاتجاهات الاجتماعية والسلوكات المصاحبة لها فان أهم وسيلة هي النمذجة. تعني النمذجة تقديم نموذج من السلوك المرغوب يقوم به شخص من محيط الطفل بشكل حي مباشر أو رمزي من خلال الاشارات والتعبيرات أو مصور من خلال الأفلام ولابد لنجاح النمذجة من توفر عدة شروط أبرزها: قوة النموذج ووضوح السلوك الذي يقوم به والمراد تعلمه في صيغة متماسكة، وقدرة النموذج على فرض تأثيره لجذب الطفل ودفعه الى محاكاته وأهمية هذا السلوك ومقدار ما يلقاه من تعزيز اجتماعي فيما لو قام الطفل بمحاكاته (مكافأة مادية أو معنوية مباشرة). كما لابد من أن يكون الطفل قادرا على محاكاة هذا السلوك واستيعابه من ناحية وأن يكون لديه حاجة (مادية أو معنوية، مباشرة أو غير مباشرة) لمحاكاة النموذج. ولابد كذلك من تنويع المواقف التي تحدث فيها النمذجة وتنويع التعزيزات التي ينالها الطفل على تجاوبه واتقانه للسلوك المرغوب. وذلك وصولا الى ترسيخ هذا السلوك واتقان تأديته من ناحية وتعميمه على مختلف المواقف الملائمة في غياب النموذج الأصلي من ناحية ثانية.

ويجتمع أنصار نظرية التعلم الاجتماعي لواضعها بندورا[٣٧] عام ١٩٨٤، على أن التلفزيون ووسائل الاعلام تمارس تأثيرها على التنشئة الاجتماعية من خلال النمذجة. يرى أتباع هذه النظرية ان التعلم الاجتماعي يتوقف على كفاءة ومهارة النماذج التي تلعب السلوك المطلوب وتؤثر على المادة انتاجه الناجح. كما يتوقف على درجة تعقيد السلوك (كلما كان أبسط سهلت عملية تعلمه، وكلما كان مجردا عن الشوائب والتشويش والبلبلة كان أكثر رسوخا)، وعلى مهارة النموذج في تقديم المعلومات المرتبطة به.

ويرى هؤلاء أن معظم السلوكات الاجتماعية تكتسب من خلال التعلم بالملاحظة المباشرة وترسخ بالتعزيز المباشر. ويلعب التعلم البصري دورا هاما في هذه العملية.

---

(٣٧) Dr. BAHIA ALJISHI, **The effect of television on reschool children's social behavior**, PHD Thesis, Boston university 1988.

فإضافة الى ملاحظة السلوك المرغوب، يتعلم الطفل بالملاحظة تجاوز الصدود الخاصة ببعض السلوكات من خلال رؤية الآخرين يقومون بها بدون آثار سلبية، كما يتعلم انجاز استجابات لديه استعداد كامن للقيام بها من خلال النمذجة.

ويقوم ذلك كله على التكرار للنماذج السلوكية المرغوبة وللأشخاص المرجعيين ذوي القدرة التأثيرية على الطفل وتنويع الوضعيات. هنا تكمن تحديداً أهمية المسلسلات التي تعرض على شاشات التلفزيون في التنشئة الاجتماعية. ترسيخ نماذج من الأبطال والسلوكات والتوجهات والتطلعات خلال مختلف الحلقات.

على أن التعلم الاجتماعي لا يقوم في علاقة فردية بين الطفل والنموذج سواء أكان مباشرا أم مصورا، بل ان النمذجة تبلغ أقوى درجات تأثيرها من خلال عضوية الجماعات المرجعية التي ينتمي اليها الطفل. انه يتأثر برأي الجماعة ومواقفها في تحديد اتجاهاته وردود فعله وتفضيلاته ازاء ما يشاهد من مادة اعلامية. ذلك انه بحاجة الى الانتماء الذي يشكل الامتثال لرأي الجماعة أحد أهم ابعاده. كما انه يتأثر بظاهرة العدوى الانفعالية التي تشيع في الجماعات مما يشكل أساس التعصب في المواقف. فالمشاهدة التلفزيونية ليست عملية فردية دوما بل هي غالبا ما تتم في جماعة تفرض مرجعيتها بمقدار أهمية انتمائه اليها. وحتى لو تمت المشاهدة فرديا فان الموقف النهائي من المادة الاعلامية وما تحمله من نمذجة يتوقف على تيارات الرأي العام السائد في الجماعات المرجعية تجاه ذلك كله.

من هنا ندرك أهمية هذه العمليات في تحديد دور الاعلام في التنشئة وصناعة المواقف والاتجاهات، مما يجب السهر على حسن تخطيطه.

٢ ـ الآليات الذاتية لعملية التنشئة :

هناك اجماع راهنا على أن الطفل يلعب دورا نشطا في عملية التعلم الاجتماعي. فهو لا يحاكي النماذج بشكل آلاتي، بل يهتم أساسا بما يجذبه. ذلك أن الطفل يقف موقفا انتقائيا من الأحداث والأشخاص من حوله فينتقي منها ما يتناسب مع احتياجاته واهتماماته من ناحية وما يتمشى مع قدراته ومستوى نضجه النفسي والمعرفي من ناحية ثانية. ولذلك فان الآليات الذاتية تطرح تحديدا قضية الدافعية عند

الطفل، كما تطرح قضية نضج الصمائم المعرفية مما يفرض ضرورة الاهتمام بما يقدم له من مثيرات ثقافية ودراستها تبعا لواقعه الذاتي وتناسبها معه.

على الصعيد المعرفي يرى بياجيه وأنصاره أن عملية التعلم الاجتماعي من خلال النمذجة أو سواها لا يمكن أن تتم إلا بعد نضج الصمائم الذهنية التي تخلق الاستعداد لهذا التعلم بل هي تحركه، والا فأن النمذجة لا يمكن أن تتم مهما كان وضع المثير الخارجي[٣٨] فالصمائم المعرفية تشكل مخططات للأنشطة ودرجة نضجها تحدد نوع ومستوى تعقيد السلوك الذي يمكن محاكاته. ومن هنا أهمية مراعاة مراحل النمو في تخطيط المادة الثقافية والاعلامية التي تقدم للطفل.

على أن الصمائم تشكل كليات أو صيغا معرفية. ولذلك فان الطفل لا يلتقط سلوكات أو يتعلم مهارات مفتتة جزئية بل أن تجاربه وخبراته وادراكاته تتشكل في كليات متماسكة متكاملة ذات معنى. هذا التشكل يتجاوز دلالة وقيمة الجزئيات كي يكون تجربة متكاملة ونظاما معرفيا متماسكا ومنطقيا يبني عليهما مفهوما عن الذات ونظرة الى الكون. الذهن يشيد خبراته ومعارفه في كليات تحدد الهوية كما الانتماء، كما النظام الادراكي ذاته والموقف من موضوعاته. وتحتل هذه العملية أهمية خاصة في عملية التنشئة. فبمقدار انسجام الخبرات وتماسك المثيرات وتسلسلها وبمقدار الروابط بينها تقوم التشييدات الذهنية والنفسية وتبنى نظرة موحدة الى الذات وموقفا متماسكا من الحياة. بينما أن التفتت والتبعثر للمثيرات والخبرات يجعل عملية التشييد الذهني النفسي هذه في كليات معرضة للبلبلة والتشويش مما ينعكس على الهوية والانتماء والأفق الذهني سواء بسواء. بالطبع هناك فارق كبير بين التشتت والتنوع فالأول مصدر بلبلة أما الثاني فهو مصدر غنى وارتقاء. وهو ما يجب أن نسهتدفه في دور الاعلام في التنشئة.

أما على الصعيد النفسي فان النمذجة الاجتماعية تتخذ ذاتيا طابع التمثل لكليات أيضا من خلال أوالية التماهي(*) والتي تقوم بدورها على أواليتي الاجتياف(**)

---

(٣٨) د. بهية الجشي، تأثير التلفزيون، مصدر سابق، ص ٤٤.

(*) تماهي Identification

(**) اجتياف Introjection

والاسقاط(***)[٣٩] . فالطفل لا يحاكي نماذج فقط بل هو يتمثل هذه النماذج بشكل لا واع حتى لأنها جزءا مكملا لذاته يبني هذه الذات. وتبرز أوالية التماهي أساسا في العلاقة مع الوالد من نفس الجنس. حيث تتشكل ذاتية الصبي من خلال تمثل شخصية الأب في سلوكها وخصائصها الجسدية وسماتها النفسية وتوجهاتها. كذلك هو حال الفتاة بالنسبة الى أمها. والتماهي هو المدخل لتكوين الهوية الذاتية. فاذا فشلت عملية التماهي لأسباب متنوعة (اضطراب الشخصية، اضطراب علاقة الطفل مع والديه، التشدد المفرط، فقدان الصورة الوالدية لمكانتها واعتبارها وبالتالي مرجعيتها)، فان الهوية الشخصية تتعرض للخلل مما يشكل المدخل الى الاضطراب النفسي وسوء التوافق الاجتماعي. من هنا تنبع أهمية دور الوالدين في التنشئة ليس على صعيد الخدمات الحياتية بل على صعيد المرجعية النفسية والاجتماعية.

والتماهي ليس عملية آلية بل هو تمثل (اجتياف) لصورة مثالية عن الوالد من نفس الجنس، من خلال اسقاط صفات الكمال والايجابية والقوة عليها من قبل الطفل، لا يتماهى مع الشخص المادي للوالدين من نفس الجنس بل يتماهى مع صورته بما أسقط عليها من خصال مثالية، أو خصال سلبية مهددة. ويشكل التماهي أعمق درجات الهوية الاجتماعية والانتماء، لأنه يقوم على مستوى الحياة الذاتية الأكثر أولية وحميمية. وانطلاقا من الوالدين والمدرسين من بعدهما والأشخاص المرجعيين في الأسرة والمحيط يتبنى الطفل والناشيء ذاتهما من خلال سلسلة من التماهيات مع الأبطال والنجوم (من كل نوع وحسب التوجه) من حياة الواقع كما من وسائل الاعلام المرئية والمكتوبة وحين تتم عملية التماهي فانها تصبح راسخة في تشكيل الشخصية والهوية.

ومن هنا تنبع أهمية نماذج الأبطال والأشخاص القياديين والمرجعيين من كل نوع الذين يجب أن تحرص الوسائط الثقافية على تقديمهم للطفل والناشيء. فمن خلال تمثلهم يتم تمثل كل القيم والتوجهات والسلوكات التي تكتسب صفة الاستقرار والفعالية.

(***) اسقاط projection

(٣٩) أنظر هذه المصطلحات في **معجم مصطلحات التحليل النفسي**، ترجمة مصطفى حجازي، بيروت ١٩٨٧م، الدار الجامعية للدراسات والنشر. الطبعة الثانية.

ويلعب التماهي على صعيد جماعة الأتراب والجماعات الأخرى المرجعية دورا حاسما في التنشئة وتمثل توجهاتها. فالطفل والناشىء لا يتمثلان نماذج معزولة، بل تمر عملية التمثل هذه من خلال نشاط أوالية التماهي بين الأتراب أعضاء الجماعة. كل واحد منهم هو نموذج للآخرين في نوع من ظاهرة المرآة. كل ناشىء أو طفل في الجماعة هو مرآة لهم وهم مرآة لذاته في آن معا. ذلك هو المسؤول عن ظاهرة الذوبان في الجماعة وعدم التمايز بين أعضائها وانشدادهم إليها. وذلك هو المدخل إلى تكوين ذات جماعية وبروز (النحن) بما هي أبرز وأقوى حالات الانتماء الاجتماعي. وتلعب ظاهرة التماهي المتبادل دورا قويا في التأثر بالمادة الاعلامية فتؤدي الى توحيد المواقف وتعزيزها المتبادل مما يجعل لها سطوة لا تقاوم، فاذا كانت هذه المادة ملائمة للتنشئة العربية الاسلامية برزت الفرصة المثلى لهذه العملية. أما اذا كانت تتعارض معها فان ظاهرة التغريب الثقافي لابد أن تبرز حاملة معها البلبلة والتشويش في الهوية والانتماء.

وهكذا نرى أن عملية التنشئة مسألة على درجة كبيرة من التعقيد والدينامية والخطورة في آن معا، مما يجعل أمر التهاون فيها أو تفويضها للغير مسألة تحمل التهديد الجدي للأمن الثقافي والانتمائي. اما اذا وظفت فيه الجهود الوطنية اللازمة فانها تتحول الى فرصة فعلية لكسب معركة الهوية والانتماء والمصير جميعا.

ولاشك أن الاعلام بما بدأ يلعبه من دور متعاظم في هذه العملية يستحق كل الاهتمام الموجه اليه. واكثر فيه نظرا للمنافسة الشديدة الوافدة وقبل أن نبحث في مقومات هذا الاعلام لتنشئة الطفولة والناشئة في المجتمع العربي الخليجي، لابد من وقفة عند الاعلام المرئي لدراسة بنيته وآلياته وديناميات وكيف تمارس تأثيرها في التنشئة.

الفصـــل الرابـــع

التلفزيون والتنشئة الاجتماعية
من سلطان الصورة الى أبناء الصورة

أولاً ـ مقـــدمة :

انه الجهاز مالىء الدنيا وشاغل الناس، الحاضر أبداً لسد الفراغ وقطع الملل، يغزو دنيانا حاملا المعرفة والمتعة والاثارة والتنوع والانطلاق في الخيال وكسر قيود الزمان والمكان لا يكتفي باستيعاب وشغل حيز الفراغ المتروك من الأنشطة الأخرى، بل هو يزاحمها بشكل لم يسبق له مثيل، آخذا المزيد كل يوم من حيزها الخاص، وفارضا هيمنته على حياتنا اليومية.

عديدة هي الدراسات التي تقف عند هذه الحالة مبينة كيف أن التلفزيون قد قفز خلال عقود معدودة من مجرد وسيلة اعلامية ترويحية الى الأداة الأهم ليس في الاعلام فقط بل في التنشئة. قديما كان الطفل يتلقى المعرفة من الكبار في البيت والمدرسة، وكان عليه أن يجهد في تلقي هذه المعرفة أو حتى في النشاطات الترفيهية والحصول على الاثارة، أما الآن فالتلفزيون لم يكتف بمزاحمة هذه المرجعيات بل كاد يصبح مرجعية أساسية في نقل المعرفة، كما في الترويح والترفيه، قوته وامكاناته اللامحدودة تقنيا واخراجا ومحتوى وتشويقا وتنوعا تجعل معركة الكبار والوسائط الثقافية الأخرى غير متكافئة معه، انه يحمل المعرفة والمتعة والاثارة في نفس الوقت الذي يهيء فيه فرصة الهروب من ضغوظات الحياة وتفريج الأزمات العلائقية والذاتية. ويزيد من قدرته، أنه يتلاءم فيما يقدم من مادة متنوعة مع مختلف الحاجات والأذواق والوضعيات، كما ان بثه المستمر يجعله يتلاءم مع مختلف أوقات وظروف جمهوره المتنوعة، وهو الى ذلك الوسيلة الأسهل والأسرع في الترفيه كما في اكتساب المعلومات، وكلما هزلت الوسائط الثقافية الأخرى أو فرضت المزيد من العناء والأعباء على الطفل، زادت جاذبية الشاشة الصغيرة، فهي لا تطلب من الطفل شيئا

بـالمقابل، لا عقـاب، ولا حسـاب، ولا أعبـاء، ولا عناء وتعب أو واجبـات. انها الجواب الجاهز عن كل الاحتياجات وفي كل الأوقـات، انها العالم المضاد لمتاعب عالم الواقع وضغوطاتـه واحباطاته، فالمتعة والاثارة النابعـان من الايقاع والنغم مضافان الى جمال اللون وحيـوية الصـورة وجاذبيـة الموضوع وتشـويق الحبكـة والانطلاق في العوالم الأكثر بعدا وتنوعا وخيالية كلها تجعل الحلم في المتناول.

وليس عجيبا والحالة هذه أن تتعاظم ساعـات المشاهدة في البلاد الصناعية، كما في العالم العـربي عموما والخليجي خصـوصا، حتى تتجـاوز ساعات الـدراسة، وليس غريبا أن تصبح المشاهدة النشاط الأساسي بعد النوم وقبل المدرسة وطبعا على حساب اللعب والأنشطة الاجتماعية والتربوية والنمائية الأخرى.

الطفل العـربي كالطفل الأمريكـي يقضي في المشاهدة سـاعات أكثـر من تلك التي يقضيها في المدرسة، فحين يصل التلميـذ في أمريكا الى نهاية الثانـوي يكون قد أمضى ١٥ ألف ساعة مشاهدة مقارنة بـ ١٢ ألف ساعة صفية[٤٠].

أما الطفل في المجتمع العربي الخليجي فتكاد المشاهدة تصبح النشاط الأكبر في دنياه ـ ليس فقط للبرامج المخصصـة له بل أيضـا للكبار ـ وليس خـلال ساعـات البث بل أيضـا بواسطـة الأشرطة المسجلـة، وتزداد أهميـة الأمر نتيجـة لتزايـد ميل الأهل الى ايكـال أمر أطفـالهم للتلفزيـون والفيـديو كـوسيلة للتسليـة والالهاء، وصرفهم عن الشغب والتشـويش والاشغـال. فـالأهل يـزداد ميلهم لنشـدان (راحـة الـرأس) والانغماس في قضاياهم الخاصة، من خلال اسكات الأطفال بهذه الوسيلة، ويتعاظم التأثير كذلك نتيجة لانحسـار الامكانات والفرص الثقافية والترويحيـة والرياضية في الخارج لقلة مؤسساتها أو محدودية طاقة هذه المؤسسات أو تواضع امكاناتها الفنية.

أصبح التلفزيـون بما يتيسر له من وسائل تقنية وفنيـة محور حياة الطفل، والمهيمن على حيـاة الانسـان داخل المنـزل، حتى أن تنظيم هـذه الحيـاة في بـرنـامجهـا اليـومي وأنشطتها أصبح يخطط تبعا لمتطلبات المشاهدة وبرامجها وأوقاتها.

---

(٤٠) ذكرته د. بهية الجشي نقلا عن Lessa 74 في أطروحتها الهامة بعنوان: **The effect of television on personal children's social behavior.** University of Buston, 1988.

كما ان تنظيم عملية التفاعل الاجتماعي في الأسرة سواء في توزيع المكان وطريقة التواجد والجلوس أو الحركة أصبح يترتب حول الشاشة الصغيرة التي بدأت تزداد في الحجم والتأثير على كل حال. التلفزيون ومشاهدته يمثل راهنا النشاط الثاني الأهم بعد النشاطات الحيوية أو حتى على حسابها أحيانا (الأكل والنوم مثلا) ويزداد الاستسلام له والانشداد اليه ليس من خلال التشويق والتنوع فقط بل كذلك من خلال السهولة المفرطة: التنقل بين المحطات والبرامج وبالتالي القفز بين العوالم المختلفة الأكثر قربا وواقعية كما الأكثر بعدا أو خيالية، بواسطة جهاز التحكم عن بعد. يجول الطفل على الدنيا بكبسة زر، مما يكاد يثير هوام تحقيق الأحلام في القصص الشعبية.

التلفزيون في محطات ارساله المتزايدة وساعات بثه التي تكاد لا تنقطع وتنوع موضوعاته وعوالمه، وسهولة التعامل معه يبلغ أحيانا مرتبة لعبة الحظ السحري، نضغط على الزر ونرى اذا كنا سنربح شيئا ممتعاً أو مدهشاً، نتوقع دوما هذا الربح من خلال اللعب على الأزرار، فلابد للحظ أن يحالفنا، وهكذا فالمتعة والاثارة والدهشة والحلم، أي بكلمة الحظ والحظوة، هي في متناولنا نحن أيضا.

لهذا كله وغيره قامت ورشة من الأبحاث والدراسات عن التلفزيون، نشرت عشرات رسائل الدكتواره، وأجريت عشرات من البحوث المسحية أو المتخصصة. ولم يترك جانب من جوانب هذه الأداة وتأثيرها الا وتناولته الأبحاث، وكتبت فيه الأقلام، وارتفعت الأصوات محذرة ومهتمة، أو واعدة ومتحمسة أو هادئة تحاول تبيّن الواقع الموضوعي، وتجمعت نتيجة لذلك حصيلة هامة من المعطيات تتناقض الآراء والمواقف في بعضها وتتلاقى نتائج بعضها الآخر، كما ينادي البعض الثالث منها بالرويّة في الأحكام ووضع الاستنتاجات في أطرها الموضوعية والثقافية الاجتماعية لتبيان دلالتها الفعلية.

وفي كل الأحوال لا يجدي التهجم أو المقاومة، فنحن بصدد واقع جديد له معطياته الاجتماعية والثقافية والتقنية محليا وعالميا، واقع يحمل الكثير من الفرص كما يحمل الكثير من التهديد للهوية الوطنية في آن معا. وليست القضية مسألة اختيار القبول لهذا الواقع الجديد أو رفضه. فذلك أمر غير ممكن سواء شئنا أم أبينا، إنما هي

بكل بساطة حضارة جديدة علينا تفهم أولياتها وعملياتها وديناميـاتها وصولا الى تحويل التهديد الى فرصة، والهيمنة الى اثراء ثقافي وتربوي وتنموي في آن، فبقدر سلبيات التلفزيون التي يحذر منها الكثيرون هناك ايجابياته التربوية والتعليمية، انه الأداة الأكثر دينامية لتنشئة اجتماعية تجمع تعزيز الأصالة وتنمية الهوية الوطنية والاعداد لولوج معركة المستقبل في آن معا.

نحاول في هذا الفصل إذن التعرف على أسرار عمل هذه الشاشة الصغيرة، ومواطن تأثيرها ونوعه، وكيفية تفاعل الطفل والناشىء معها وديناميّاته، مما يشكل المدخل الضروري لوضع عناصر الاعلان الاعلامي.

ثانياً ـ تأثير التلفزيون وأولياته :

لقد كتب الكثير عن تأثر الأطفال بالتلفزيون سواء في التنشئة الاجتماعية وتشكيل السلوك (سلوك العنف والسلوك المتوافق اجتماعيا) أم في آثاره التربوية (نمو اللغة، الخيال، اللعب، الأنشطة الأخرى...) كما كتب الكثير عن أوليات وقوانين هذا التأثر من خلال عرض العديد من النظريات وإنما رغم أهمية ذلك كله، مما سنعود إليه في العنوان الثالث، ترك جانب هام خارج دائرة الضوء والبحث، وهو كيف يؤثر التلفزيون وكيف يحدث هذا التشكيل للسلوك والتوجهات، ولابد من وقفة متأنية عند هذا الجانب، ليس فقط لكشف عمله الخفي، المقنع وغير المباشر، بل قبل ذلك لمعرفة السبيل الى كيفية استخدام هذا التأثير الخفي والمقنع في خدمة أغراض التنشئة الاجتماعية التي نريد لأبنائنا.

فالتأثير الأكثر عمقا ـ كما سنراه ـ لا يتمثل بالمحتوى الظاهر للمادة الاعلامية، بل هو يكمن تحديدا في محتواها الكامن من ناحية، وفي شكل الرسالة وأسلوبها واطارها من ناحية ثانية، وفي الحالتين ونتيجة لتضافر عمل هذين البعدين وصلنا الآن الى حضارة الصورة، والى أبناء الصورة، فالتلفزيون أصبح يمثل المدرسة الموازية والأسرة الموازية سواء بسواء، وكلاهما لا يكاد يستطيع اللحاق به نظرا لتقليديتهما في مقابل الحيوية الفائقة والدينامية المتسارعة والامكانات الهائلة (في الموارد والتقنيات) التي تتوافر له، ولقد أدى التلفزيون الى نشوء ما يسميه عالم الاجتماع الأمريكي دافيد

رايسمان ظاهرة (الانسان المحدد خارجيا)[٤١] ، حيث يعتبر علماء النفس والاجتماع أن وسائل الاتصال الجماهيري وعلى رأسها التلفزيون قد رسمت منعطفا أساسيا في تاريخ الانسانية، وافتتحت مرحلة تاريخية جديدة من مراحل تطور المجتمعات البشرية، انها أنتجت نمط الانسان المحدد خارجيا، ذلك ان الانسان الذي يتحدد سلوكه وتتحدد توجهاته بالآخرين، من خلال التأثر الشديد بالرسائل التي تبثها وسائل الاعلام هذه والخضوع لها كليا، ذلك هو ما أسميناه عملية التنميط الذي بدأ يشكل انساناً كونياً في سلوكه وقيمه وتوجهاته، نظرا للهيمنة الكونية لأجهزة الاعلام المرئي، هذه المرجعية الكونية الاعلامية أخذت تحل بشكل متسارع محل المرجعية الأسرية والمدرسية والاجتماعية وحتى الوطنية أو القومية، ومن هنا تلك التسمية التي أطلقتها عالمة النفس الفرنسية ماري جوزيه شومبار دي لو على الأطفال المعاصرين بأنهم (أبناء الصورة)[٤٢] ، حيث يعمل التلفزيون على توحيد وتنميط الأجيال الصاعدة.

يتمثل التأثير في بعدين أساسيين: الصورة أو لغة الشكل، والمضمون، وفي كل منهما تتم عمليات وتتبع تقنيات وتمارس أساليب تؤدي الى التغلغل الخفي الى أعماق نفسية الطفل والناشىء، ويتضافر تأثير كل من الصورة والمضمون لتعزيز عملية التغلغل هذه، ذلك ان جمع الصورة والصوت معا يمثلان ٨٠٪ من عملية الادراك كما أثبتت الأبحاث في علم النفس المعرفي حيث أن البصر والسمع هما حاستا الادراك الرئيسيتان.

١ ـ سلطان الصورة:

الصورة لغة تنقل المعاني والدلالات، كما تعبر عن الواقع بشكل مباشر، انها تنقل الرسالة المراد ايصالها فورا في حين أن الكلمات تتّابع وتتسلسل بنظام محدد يجعل الرسالة مجزأة بينما الصورة تنقل الرسالة بشكل كامل ودفعة واحدة، وبينما تحتاج الرسالة الى واسطة في اللغة هي الكلمات التي تعتبر علامات اصطلاحية (مجردة) عن مدلولاتها، فانها لا تحتاج الى واسطة في الصورة، يلتقط المستقبل رسالة الصورة

(٤١) د. رالف رزق الله، «التلفزيون والأطفال، التسرب الايديولوجي من خلال الصورة»، الفصل السابع من كتاب **ثقافة الطفل العربي**، مصدر سابق.
(٤٢) المصدر السابق، ص٢٥٨.

مباشرة وبشكل اجمالي متماسك، بينما يتعين عليه فك رموز اللغة ودلالاتها واعادة ربطها بموضوعاتها الأصلية، والصورة تنقل الرسالة بشكل فوري كما لو أن المشاهد كان موجودا في نفس مكان تسجيل الكاميرا[٤٣] . وهكذا بينما يتطلب فهم الكلام جهداً تمرر الصورة إلى الافهام مباشرة وفي حالة استرخاء يتوجه الكلام إلى العقل بينما تتوجه الصورة الى المشاعر والانفعالات العميقة، ولهذا فهي تؤثر على الدوافع اللاواعية وهي أكثر قابلية من النص اللغوي للاختزان في اللاوعي، كما انها أكثر تعبيرا عن هذه الدوافع اللاواعية، ومن هنا يأتي تأثيرها الأقوى والأكثر بدائية، انها بالتالي على صلة بالرغبات الأكثر حميمية التي لا تستطيع اللغة أن تعبر عنها، وهذا ما يجعلها تشكل الذاكرة اللاواعية للطفل (الفردية منها أو الجماعية)، ولاشك بمدى دور هذه الذاكرة في تشكيل السند الأساسي للهوية الذاتية والاجتماعية سواء بسواء.
ولقد أظهرت الدراسات حول تأثير التلفزيون أن الطفل يختزن هذه الصورة ولا يفعّلها مباشرة في سلوكه بالضرورة إلا أن اختزانها لا يعني زوالها، بل هي تظل قابلة للتحرك في اللحظة المناسبة، واذا لقيت التعزيز المناسب[٤٤] . ولا تبقى الصورة بمفردها انها تتعزز من خلال الموسيقى وسرعة الايقاع والألوان وجاذبيتها، ولقد بلغت تقنيات الاخراج والتلاعب بالمشهد واتقان الألوان ونصوعها والمساعدات الصوتية درجة هائلة من التطور مما يشد المشاهد بشكل تعسر مقاومته ويخيل اليه أنه يعيش واقعا حيا (خصوصا عند الأطفال الصغار الذين لا يميزون بين الواقع والصورة) ، وهو ما أكدته نتائج بحث ميداني أجري في البحرين عام ١٩٧٩م، حيث تبين ان واحدا من كل أربعة أطفال من أفراد العينة أجاب بأن (الرجل الآلي، وهو شخصية خيالية ذات قوى خارقة) ويعرضها مسلسل تلفزيوني أمريكي آنذاك، كان قويا في الواقع، وقد تراوح عمر معظم من قال بذلك ما بين ٧ و٨ سنوات[٤٥] .
ويتجاوز الأمر حد الواقعية الآنية وما تولده من مشاركة، الى اثارة الدوافع العميقة والارتباط بها من خلال الدخول في عالم الحلم الذي يتحقق والذي ينغمس المشاهد فيه مبتعدا عن حياة الواقع ومعاناتها، انها حالة تجسيد للأحلام وما تحمله من رغبات دفينة وأمنيات، ومن هنا التفاعل العميق والصلة الحميمة بين المشاهد، وبين المادة

---

(٤٣) المصدر السابق، ص٢٦٠ نقلاً عن جان كازاناف.
(٤٤) من تجارب باندورا ٦٥، ذكرته د. بهية الجشي في رسالتها للدكتوراه، مصدر سابق، ص٤٨.
(٤٥) ممدوح المبيض، خلف أحمد خلف ـ **أهم ميول واحتياجات الأطفال في البحرين**، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ـ دولة البحرين ١٩٨١م، ص١٠٣.

الاعلامية. ويتفنن التقنيون في ذلك كله نتيجة لـلامكانات الهائلة التي توفرها الخدع التصويرية وتقنيات مزج الصورة والحركة واللون والايقاع والنغم.

في عرض لأسرار الشاشة السحرية، يحدثنا جان كرم [٤٦] طويلا عن عمل فريق الانتاج التلفزيوني: المنتج، المخرج، ملاحظ السيناريو، مدير التصوير، مسؤول المونتاج، مهندس الصوت، مهندس الديكور، كاتب السيناريو الذين يعملون بشكل متكامل لمضاعفة تأثير المادة المعروضة من خلال الوصول الى أعلى درجات التشويق والاثارة.

وتخضع الصورة أو المشاهد لعملية تأطير تزيد من تأثيرها من خلال مجموعة من الحيل التصويرية من مثل: الدمج، التنزيل، الاخفاء والابراز، المزج وادخال المحسنات والمؤثرات، التقطيع، التركيز، التكبير والتصغير والتحريف، العدسات المصاحبة واللقطات المتآينة. كما يحدثنا عن حركية المشهد والتلاعب فيه من خلال اخفاء الصورة حالا أو تدريجيا واحلال شيء مغاير محلها، الابراز والنصوع أو التعتيم، تقطيع الصورة، ادخال أشكال هندسية ملونة عليها حسب الحاجة، تنزيل صورة فوتوغرافية في مشهد متحرك، تقطيع الشاشة الى عدة صور متآينة مختلفة أو متوافقة أو متكاملة، تنزيل صورة متحركة مع مشهد متحرك لاعطاء الانطباع بتزامن الصورتين، استبدال صورة بأخرى، التلاعب بالألوان والخطوط، قلب الصورة رأساً على عقب، التكبير التدريجي، تعدد زوايا التصوير، تعدد وجود الشخص الواحد، كلها تخلق مؤثرات تجعل امكانية التلاعب بمشاعر المشاهد وادراكاته كبيرة وخفية في آن معا، حيث لا يشعر هذا الأخير بكل هذه الخدع إنما يرى واقعا حيا يعطي دلالات ومعان وقيم واتجاهات تشكل نظرة المشاهد ومواقفه في آن واحد معا.

وتبلغ هذه العملية درجة عالية من الحركية تجعلها تقدم للطفل جرعات مكثفة ومؤثرة من المادة التلفزيونية، لا تتيح له الفرصة للانتقاء والمفاضلة والتفهم والاستيعاب، انها تحدث تأثيرها بشكل لا عقلاني من خلال كثافة الانطباعات

---

(٤٦) جان كرم، **التلفزيون والأطفال**، بيروت ١٩٨٨م، دار الجيل.

وفعلها على المستوى الواعي واللاواعي. هنا تحديدا تمر الرسالة الخفية التي يحاول التلفزيون ايصالها فيما وراء المحتوى الظاهري للموضوع، ذلك أن الاعلام عموما يتضمن في معظم الأحيان رسالتين في آن معا، الأولى ظاهرة علنية رسمية (المتعة، الترويح، المعرفة... الخ) والأخرى ضمنية تمر من خلال الأولى وتنفذ بشكل عفوي الى لاوعي المشاهد، وهي ذات طابع توجيهي على الأغلب، تحاول تمرير قيم أو تفضيلات، وتقوم بعملية التنميط. وبمقدار اتقان تكنولوجيا الصورة من جانب وجاذبية الموضوع من جانب آخر تتصعد درجة التأثير المقنّع، الذي يفلت من رقابة الكبار والمسؤولين في غالبية الأحيان.

تتمثل الرسالة الضمنية على صعيد الصورة فيما أصبح يسمى بلغة الشكل، تحمل هذه اللغة مجموعة من الاشارات والرموز تمثل في حالة التلفزيون دنيا قائمة بذاتها بتاريخها وجغرافيتها وطبيعتها ومناخها وعرقها وثقافتها ونشاطاتها الاجتماعية وزيها وتوجيهاتها وتفاعلاتها. فالمشهد الطبيعي يغلب في الأفلام المستوردة أن يعكس المناخ والجغرافيا الغربية (خضرة ــ أنهار ـ جبال ــ ثلوج ـ غابات.. الخ)، في هذا المناخ تلعب الدراما التي تهم الطفل وتشده وهي لذلك ترتبط بهذا الاطار الذي يكتسب صفة المرجعية من خلال الاقتران الشرطي، كذلك الابطال بألوان شعرهم وبشرتهم وأزيائهم وأدوارهم وآلاتهم. وكذلك المآكل والممارسات والعادات المجسدة في السلوك والتفاعل، كلها تمثل مرجعية معينة. وبمقدار ارتباط هذه المرجعية بالدراما التي تهم الطفل تنغرس في الأوعية على حساب مرجعيته التاريخية ـ الجغرافية ــ الثقافية الوطنية. تصبح الأولى حيوية نشطة وبالتالي سائدة بينما تتحول الثانية الى حالة من الكمون والركود والهامشية وفقدان القيمة أو الجذب وهكذا يرى الطفل نفسه نتيجة للتكرار المكثف وللارتباط وقد تكون عالمه بناء لمرجعية مغايرة لحضارته.

وتلعب مسلسلات الرسوم المتحركة هنا على اختلافها، حتى ولو كانت معربة في لغتها هذا الدور في الاحالة الى مرجعية مغايرة لثقافة الطفل العربي: رموز الحيوان والنبات، والألوان والألعاب، والأدوات تكتسب قيمتها من ارتباطها بالدراما التي تشد الطفل مما يجعل متعته، كما شغله على مآزمه النفسية، كما تفريجه لتوتراته وضغوطاته الحياتية، كما تعبيره عن آماله ورغباته وأحلامه كلها مرتبطة بعالم مغاير

لثقافته، وبمقدار ما تتصعد قيمة هذا العالم تتدنى قيمة عالمه الحضاري في لاوعيه، حتى ولو تمسك بعكس ذلك في وعيه، ولا يقف الأمر في تأثير الصورة عند الشكل، بل أنها تمثل أسلوبا متكاملا من خلال تناسق اللون والايقاع والشارات والتوجهات والأدوار مع الشكل. واذا علمنا أن الهوية الثقافية هي في الأساس أسلوب وجود قبل أن تكون عقيدة وانتماء معلنين، اتضح لنا مدى التأثير الذي يلعبه التلفزيون حتى في أكثر حالاته براءة وحيادا (وما هو بمحايد في الحقيقة). فلا تكفي ترجمة النص الى العربية كي يتم التعريب، ذلك أن هذه اللغة المترجمة بدورها قد تعكس أسلوب اللغة الأجنبية وخصائصها التعبيرية، أكثر مما تعكس الخصائص التعبيرية للغة العربية (اننا بصدد لغة انجليزية منطوقة بكلمات عربية، أكثر مما نحن بصدد لغة عربية فعلية)، وهنا أيضا يتضافر التأثير الذي يفلت من الرقيب غير الخبير والذي لا يهتم عادة الا بالمحتوى الذي قد يتعارض مع التوجهات الرسمية الصريحة.

٢ ـ المحتـــوى:

يقدم التلفزيون، من خلال تنوع وغنى مادته وتقدم تقنياته وجبة وافرة من المثيرات التي تشبع مجمل احتياجات المشاهد من المعلومات، انه يصل المشاهد في الكون، ويجعله ينتقل بين أربعة أرجائه وهو مسترخ في مقعده، وهو لذلك قد تجاوز أي مصدر آخر تقليدي للمعلومات، مما يكاد يجعله خارج مجال التنافس.

أما بالنسبة للطفل والناشىء، فان محتوى المادة الاعلامية التلفزيونية يجيب على كامل الاحتياجات التي عرضنا لها في الفصل السابق حول التنشئة:

ـ انه يقدم المعرفة والمعلومات على اختلافها من خلال البرامج الوثائقية والعلمية والتربوية التي يحتاجها الطفل في بناء مشروعه الوجودي على صعيد سيطرته على العالم الخارجي واكتناه أسراره والتعرف على ظواهره وقوانينه.

ـ وهو يجيب على احتياجات الانتماء وبناء هوية ذاتية اجتماعية من خلال النماذج التي يقدمها على صعيد السلوك وأسلوب الحياة والأبطال والعظماء والقادة من كل نوع، وكذلك النجوم (في الرياضة والفن) الذين يشكلون مثلا أعلى للناشئة، ويضاف الى ذلك بالطبع ما يمارسه التلفزيون من تنميط يجعل الطفل والناشىء والفتى يحسون

بالانتماء الى جيل جديد من الشباب له كل مميزاتـه وتفضيلاته كما له شاراته ورموزه وسلوكاتـه، وهو جيل تزداد قوة جاذبيتـه نتيجة لاتخاذه بعدا عالميـا يشعر الناشىء بالانتماء الى حـركة ذات بعـد تاريخي وجودي، كما تـزداد جاذبيته من نـاحية ثـانية نتيجة للصورة الحيـوية والحية التي يقدم بها والخصائص التي تعطى لـه مما يجعله في وجدان الناشىء رمزا للحياة ومدخلا اليها.

ـ كذلك فان التلفزيون بما يقدمه مـن أفلام درامية، سواء أكان أبطالها من الحيوان (مما ينـاسب صغـار السن) أو من الانسـان (مما ينـاسب الأكبر سنـا)، ومغـامـرات، ومـآسٍ، واثارة وتعـرض للأخطـار وخـروج منها، وصراع الأخيـار مع الأشرار والانتصار عليهم، يوفر فعلا المادة الضرورية لشغل المآزم النفسية التي تجابه الطفل والناشىء في مختلف مراحل النمو، فمن خلال المسرحة والتجسيد لصراعاته الذاتية يتوصل تدريجيا الى استيعابها، ومن خلال التماهي بأبطال هذه الأفلام والمسلسلات في صراعها ضد ما تجابهه من أخطار وتنافس وتحديات وتتغلب عليها يسترد الطفل والناشىء شيئا من التـوازن بينه وبين المحيط الملىء بقوى تتجاوز قـدراته، ومن هنا ولع الأطفـال ببعض المسلسـلات لأنها تسـاعـدهم على شغل أزمـاتهم وتصفيـة صراعاتهم في معركة السيطرة على عالمهم الداخلي.

ـ وأخيرا، تـوفر لـه المادة التلفزيونيـة ما يشبع حـاجته من الجماليـات: جمال الصورة والألوان، جمال الحركـة والايقاع، جمال النغم مما يسـاعده على الوصـول الى درجة معقـولـة من الانسجـام مع الـذات والكـون، ويضـاف الى ذلك بـالطبع كل المادة الترويحية من تسليـة ومتع على اختلافها وفـرح وضحك ونشوة واثارة وفكاهـة مما يفرج ضغوطاته النفسية ويعوض عن احباطاته الوجودية.

ويزداد تـأثير التلفزيون لأنـه يجيب في آن على أكثـر من وظيفة في المادة الاعـلامية الواحدة، فقد تجتمع المعرفة مع المتعة الجمالية والحلم في الانطلاق في الفيلم الوثائقي، كما قد تلبى الحاجة الى الانتماء في نفس الوقت الذي يتم فيه الشغل على المآزم النفسية. وقد يجتمع كل ذلك دفعة واحدة في جرعـة مكثفة تفتح شهية الطفل، أو هو قد يتتالى جرعات في نفس الجلسة نظرا لتنوع المادة على نفس المحطة أو بين مختلف المحطات.

من هنا نـدرك مدى هيمنة هـذه الوسيلـة، ونفهم مبرر التسمية التي أطلقت على

الطفولة المعاصرة (أبناء الصورة) ولنا بالطبع أن نقارن ذلك بوسائط التنشئة الأخرى كالمدرسة وسواها من المؤسسات التي لازالت ترزح تحت وطأة العرف وتكرار الذات والرتابة والخلو من الاثارات الحياتية وديناميـة التنوع. سيتضح لنا اذن مدى أهمية وخطورة التلفزيون : أهميته كفرصة اذا أحسنّا استخدامها ودفعنا ثمن كلفة هذا الاستخدام الجيد، وخطورتها اذا استمرت برامجنا المنتجة محليا على ما هي عليه من رتابة وفوقية وميل الى الوعظ والتأنيب والتأثيم التي تدخل الكآبة الى نفس الطفل التواقة الى الحياة والفرح والاثارة في نفس الوقت الذي تتوق فيه الى الجهد والمعرفة. ذلك أن الطفل سيدير ظهره، طالما هو يملك خيار الانتقاء لما يشاهده من برامج، لما نقدمه له من مادة تجانب حاجاته، وسيتوجه الى حيث يجد الاجابات ويشعر بالحياة. وهنا تكون عملية التنشئة قد أوكلت للغير، وبالطبع فلن تكون لحساب تطلعاتنا الوطنية والعربية ـ الاسلامية، بل ستكون لحساب هذا الغير ومما يمرره من توجيه وايديولوجيا ضمنية فيما يقدم من مادة، حتى تلك التي تبدو ظاهريا الأبعد عن التوجيه.

تخضع المادة الاعلامية المستوردة في وضعها واخراجها لعمليات انتقاء وتحوير تمرر رسالة خفية، وتهدف عملية التحوير هذه الى ترويج البلدان المنتجة لهذه المادة لذاتها وتوجيهاتها وخياراتها كنموذج عالمي يمثل القيمة الايجابية، ويساعد السوق العالمي لتبادل المواد التلفزيونية على ذلك، كما يساعد عليه بيع هذه المواد بأسعار تشجيعية لبلدان العالم الثالث بعد أن تكون قد حققت الأرباح المتوقعة منها في بلاد المنشأ. فالتلفزيون يروج ثقافة معينة ونظام حياة، نرى ذلك ظاهرا في المسلسلات الشهيرة حول بعض الأسر الثرية، فهي لا تعكس الواقع الموضوعي بكل ما فيه من صراع وتناقض وجهد وعناء وجد وانتاج، بل تعكس صورة الحظ والحظوة والرفاة والنعيم والغدق في بحبوحة الحياة، على أنها الصورة التي تقدم بلاد المنشأ ذاتها من خلالها.

وينطبق نفس الأمر على مسلسلات الشباب والاثارة والمغامرة حيث يقدم نموذج للشباب الذي يتمتع بالصحة والحيوية والانطلاق وتحقيق الأحلام والطموحات والمستقبل مما يمثل اغراء ليس من السهل مقاومته.

وتبلغ المسألة أوجهـا في الاعلانات، بـدءا من اقتران الاعلان بـالموضوع المحبب ورعايته لعـرض هذا الموضوع مما يكسب السلعـة موضوع الاعلان طـابعا ايجابيا من خـلال الارتباط الشرطي بـالفيلم المحبب أو المشوق، ويتجـاوز الأمر ذلك الى بنيـة الاعلان ذاتـه حيث يركز كـذلك على قيم الاستهلاك والحظ والحظـوة ورغد العيش والرفاه رابطا كل هذه القيم بالسلعة المعلن عنهـا. وجاعلا من استهلاكها مدخلا الى عالم الحظ والرفاه هذا، ويربط الاعلان كـذلك بالقوة والمغامرة وبالمرأة والطفل، أي باستغلال كل أحلام المشاهد.

ويمثل ذلك كله تمويها على الـواقع الذي يتضمن الجهد والجد والمثابـرة والعناء كما المعانـاة والاحباطـات والحرمان، وهكـذا يخيل الى المشاهـد أن البلد مصـدر السلعة والاعلان عنها هـي فعلا بلد الأحلام، على كل حال انها تحاول تـرويج ذاتها هكذا، وهي في هـذا وفية لهذه الـذات[٤٧]، يبقى علينا نحن أن نـروج بلادنا وامكـاناتها وخيراتها وطموحاتها وأصالتها، فالشكوى ليست مجدية ولا الاتهام بمفيد، فوراء ما يقدم لنـا من مادة مشـوقة ومسلية وجـذابة على اختـلافها هنـاك جحافل من الفنيين والاختصـاصيين في الاعـلام والاتصـال والتأثير، والتربيـة وعلم النفس والكتّـاب والمخرجين.. وليس من الواقعيـة في شيء مقارنة هذه الامكانـات الضخمة وكلفتها البـاهظة بما هـو حاصل لـدينا من ايكـال الأمر الى نفـر معدود يطلب اليـه تحمل كل الأعبـاء ومواجهـة كل التحـديـات بـدون تزويـده بـالعـدة الفنية والعلميـة والخبرة اللازمة.

ان هناك جهودا طيبة على مستوى تصويب الوضع الاعلاني في دول الخليج العربية مما يجدر السير فيه قـدما خطوات أخرى الى الأمـام، على أن ذلك لا يكفي وحده، إذ لازال يتعين التنبه الى الانتقائية التي تميز المادة الاعلامية المستوردة.

في هذه المادة لا يعرض من العالم إلا مـا هو منتخب ومنتقى بشكل مقصود، تختار الجريدة التلفزيونية الأحداث وتعرضهـا حسب سلم الأهمية تختاره، وتعطى للوقائع والأشخـاص والأحداث أوزان وأحجـام وتأكيدات، كما يحجب غيرهـا أو يجرد من

---

(٤٧) هربرت شيللر، **المتلاعبون بالعقول**، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٠٦، الكويت ١٩٨٦م.

قيمته، ويكمل التقنيون من خلال امكانات التلاعب بالصوت والصورة واللون والحركة هذا العمل، مما يجعل المشاهد تأتي وكأنها طبيعية وواقعية لا جدال فيها[٤٨]، وتلعب هذه الدينامية دورا كبيرا في تحديد الأعراف الاجتماعية للطفل وكأنها تقول له: هذا هو النموذج ذو القيمة، وهذا هو التصرف الذي يحظى بالأهمية من خلال الايعاز غير المباشر، وفي كل ذلك، يبعد الطفل عن الحياة بواقعيتها وقضاياها ومتابعتها ومستلزماتها وينجرف في عالم الأحلام، تقدم نماذج القدرة الخارقة والحظ والحظوة من خلال أعلى درجات الاثارة التي تخترق حواس الطفل وتصل الى أعماق ذاته فتستقطبها، والى عقله فتقولبه.

ويعمل التلفزيون على فرض الأعراف والأدوار والقيم والتوجهات لجميع فئات المشاهدين وفي جميع المراحل، بدءا بالأسرة وانتهاء بالعلاقات العامة والدولية في عملية تنشئة متكاملة الأبعاد، يفرض نموذجا ثقافيا محددا حول الأعراق والجنسيات والبلدان والأدوار الوالدية والجنسية، وحتى في الصاق الشرور وتجسيد التناقضات ببعض الضالين الذين يحاربون ويقضى عليهم.

فالتلفزيون لا يعرض الحقيقة كاملة، بل هو يعرض ما يريد تقديمه للناس على أنه الحقيقة[٤٩] من خلال: طريقة العرض وزاويته وتكراره وشدته ومدته (وباستغلال معطيات علم الدعاية والاقناع والتأثير، ومبدأ الاغراق)، وهو يفعل ذلك من خلال ما يهمش ويدفع الى مقام ثانوي، أو ما يفرغ من شحنته وشدته الفعلية، أو ما يتم اغفاله.

يبسط التاريخ، وتبسط الجغرافيا، من خلال نقاط التركيز والتعزيز والاطفاء والاقتران الشرطي، ويلعب عنصر الاثارة وشد انتباه المشاهدين والتنافس عليهم الدور الموجه الأول في كل هذه العملية.

وتمرر الرسالة الخفية من خلال التسلية والمتعة في المقام الأول: حتى أفلام الرسوم المتحركة التي يبدو عليها البراءة وأنها لا تهدف الا الى متعة الطفل محملة بالمضامين

---

(٤٨) ميشال شوسون، **التلفزيون والطفل**، مصدر سابق.
(٤٩) ميشال شوسون، المصدر السابق، ص٤٨.

الايديولـوجية التي تروج لبلد المنشأ ذلك مـا أثبتته الدراسات العـديدة التي أجريت على تحليل مضمون بعض مسلسلاتها[٥٠]، ويتم ذلك بالطبع من خلال اطار طبيعي وخيالي خلاب يمزج بشكـل سـاحر ما بين الأطفال والحيوانات والطبيعة.

يعيش الطفل من خـلال المادة الاعـلاميـة المستـوردة في جـو ثقـافي كثيف وخفي يشكل وجدانـه وعقله وتوجهاته، ويتعين علينـا بالتالي ادراك ذلك كلـه واستيعابه، والتعامل معـه وصولا الى تعزيـز ايجابياته الكثيرة ومـوازنة سلبيـاته واستلابـاته التي ليست هينة من خلال ترويج بلادنا وثقافتنـا بالأساليب القادرة على المنافسة، ولو عز الثمن، ومن ضمن أولويـات ما يتعين علينا عملـه اطلاق حملة محو أمية جـديدة هي (الأمية الاعلامية)، لابدّ أن تبدأ هذه الحملـة بمحو أمية الكبار الاعلامية في الأسرة والمدرسـة والمجتمع في مختلف مؤسسـاته من خـلال الوعي بخصـائص وديناميـات وآليات الاعلام المعاصر ولابـد للمدرسة من اعادة النظر في وظائفهـا كي تدخل هذه العملية من ضمنها، لابد أن نسلح الطفل في المجتمع العربي الخليجي بالفهم والتمييز بين الواقع والمصطنع كي يحافظ على نظـرته القويمة لـذاته ولدنياه ولـوطنه، في نفس الوقت الذي يتعلم فيه ويستمتع ازاء الشاشة.

ثالثاً ـ التأثر بالتلفزيون وأواليات (تمثل النماذج):

ليس هناك تأثر سلبي فاتـر من قبل الطفل، بل هو يستقبل المادة الاعلامية بشكل نشط على الدوام حتى ولو بدأ مسترخيا مستسلما لها، أصبح هناك راهنا توافق على أن الطفل هو انتقـائي في ادراكه لما يشاهد على الشـاشة ولما يسترعي انتباهه ويستـوعبه، وذلك على عكس الرأي الذي دافعت عنه نظريـة التعلم الاجتماعي لصاحبها باندورا وزملائه والتي ذهبت الى القول بسلبية الطفل وفتوره وتلقيـه لكل ما يقدم له طالما أن ما يقدم يلقى تعزيزا من قبل المحيط اذا أعاد الطفل انتاجه[٥١].

دافعية الطفل أصبحت أمرا معترفـا به، في تحديد موقفه مما يشـاهده، وإضافة الى

---

(٥٠) هربرت شيللر، **المتلاعبون بالعقـول**، مصدر سابق، ص١٣٠، وكذلك د. رالـف رزق الله، **«الأطفـال والتلفـزيون»**، مصدر سابق.

(٥١) انظر من أجل تفصيل هذه النظرية والتعليق عليها د. بهية الجشي، أطروحتها للدكتوراه، مصدر سابق.

الدافعية هناك مسألة نضج الصمائم المعرفية التي قا ل بها بياجيه والتي تحدد ماذا يمكن للطفل استيعابه[٥٢] .

الأهم من ذلك كله أن الطفل يتفاعل مع المادة الاعلامية لاشباع حاجاته في بناء مشروعه الوجودي الذي عرضنا محاوره بشيء من التفصيل في الفصل السابق حول التنشئة الاجتماعية، انه في نفس الوقت يبحث في المادة الاعلامية عن المعرفة (بغية السيطرة على العالم) وعن نماذج الانتماء (بغية تكوين هوية نفس ـ اجتماعية) وعن ايجاد الحلول لمآزمه العاطفية والعلائقية، وكذلك عن الانسجام مع الذات والكون (من خلال الجماليات) وعن تفريج مآزمه النفسية من خلال الفكاهة والتسلية والترويح، وهو دوما نشط في تفاعله مع المادة الاعلامية على مختلف هذه الأصعدة، وتستطيع هذه المادة أن تتغلغل الى نفسه طالما توسعت القنوات الذاتية التي يفتحها هو عليها، أي طالما حملت اليه الجواب على تساؤلاته والارضاء لاحتياجاته. الطفل ليس اذن كائنا ساذجا يتلقف ما يقدم له.

واذا كان التلفزيون يمرر رسائله ويمارس تأثيره، من خلال النمذجة التي عرضتها نظرية التعلم الاجتماعي بتفصيل، ومن خلال التعزيز التفاضلي، فان الطفل في المقابل يتمثل المادة الاعلامية من خلال أواليات التماهي والاجتياف والاسقاط (التي عرضت لها في الفصل السابق أيضا). انه بدوره يبحث عن نماذج لأبطال ونجوم ومثل عليا يتمثلها في خصائصها وسلوكها وتوجهاتها، انه يتمثل هذه النماذج التي تجيب على حاجاته وتحمل حلولا لأزماته، كما انه يتفاعل معها من خلال أوالية الاسقاط حيث يجسد ويمسرح قضاياه وقلقه وأحلامه، من خلال المشاركة الوجدانية لبطل الفيلم.

ولنأخذ مثلا على ذلك، الرسوم المتحركة بأبطالها المعروفين والمحببين، فبطل الرسوم المتحركة هو دوما ذلك الكائن الصغير الذي يتصف بالضعف الجسدي ازاء خصمه الجبار الذي يمكن أن يسحقه بضربة أو يلتهمه بلقمة، إلا أن هذا البطل الصغير واسع الحيل، شديد الذكاء يتصف بالحيوية والحركة، وهو من خلال ذلك

---

(٥٢) د. بهية الجشي، مصدر سابق.

يتمكن دوما من النيل من خصمه القوي والتغلب عليه في سلسلة من الورطات يحيكها له، وتنتهي القصة دوما بانتصار البطل الصغير، وتقلب الأدوار فيتحول الكائن المهدد المخيف الى كائن عاجز يستثير السخرية والتندر.

يجسد هذا السيناريو بشكل مشوق وعميق معاناة الطفل وقلقه الكامن نظرا لتفاوت القوى بينه وبين المحيط المهدد، وحين ينتصر بطل الرسوم المتحركة يسعد الطفل اذ تدخل الطمأنينة الى نفسه بأنه هو أيضا يمكنه الخلاص من المواقف التي تهدد وجوده بالحيلة والذكاء وحسن التصرف وتدخل في نفسه القناعة بأن الصغير ليس كائنا ضعيفا ومهددا بالضرورة. هنا اذن تجتمع التسلية والمتعة مع تفريج المآزم النفسية مما يجعل لهذه الأفلام جاذبية لا تكاد تقاوم بالنسبة للطفل، الا أنه من خلال هذه الميزة (المتعة وحل المآزم والطمأنة) تتسرب الرسالة الخفية التي تحمل الأيديولوجية الضمنية التي تحدثت عنها في العنوان السابق. يتمثل الطفل هذه الايديولوجيا بشكل عفوي، جاعلا منها اطارا مرجعيا، بمقدار ما يستمتع بالمشاهدة، وبمقدار ما تحمل اليه هذه المشاهدة الحل لمآزمه.

طبعا هناك موضوعات أخرى كثيرة في الرسوم المتحركة مما يجذب الطفل، وكلها تتضمن دوما بعدا انفعاليا يتعلق بقضايا الطفل الحميمة وعلاقاته بالمحيط (من مثل الغيرة الأخوية، والاستقلال عن الأهل، وحل ألغاز الوجود وتحدياته والحياة الأسرية).

على أن عمليات التمثل هذه لا تقتصر على الصعيد الفردي، بل هي تمر كما عرضنا لذلك في الفصل السابق، من خلال الجماعات المرجعية وعضوية الطفل والناشىء فيها، هنا تتم عملية تماهي متبادل بين أعضاء الجماعة حيث يلعب كل منهم دور المرآة لذات الآخرين مما يؤدي الى الذوبان في (النحن الجماعية)، وعند هذا الحد يصبح رأي الجماعة ذا تأثير لا يقاوم، فاذا كان موقف أعضاء الجماعة ايجابيا تجاه فيلم أو مادة اعلامية، تبنى الناشىء نفس الموقف الايجابي منه، قد تشكل الأسرة هذه الجماعة المرجعية، أو تلعب جماعة الأتراب عند الناشئة هذا الدور. وهنا يصبح تمثل التنميط الذي يقدمه التلفزيون ذا قوة راسخة في تشكيل ثقافة الشباب وبالتالي تنشئتهم الاجتماعية، ذلك أمر يعرفه اختصاصيو الاعلام في البلاد المنتجة لهذه المواد،

ويراهنون عليه ويستغلونه بشكل ذكي، ولابد من الاشارة هنا الى أن الاعلان يتوسل في ترويجه نفس القنوات، يكفي أن يقف الأتراب موقفا ايجابيا من سلعة يتم الاعلان عنها حتى يتكـون نفس الموقف لدى النـاشيء، أما اذا شـاع استهلاكهـا بينهم، فان المسألة تصبح حاكمة ومحتومة بـالنسبة له، هو أيضا يجب أن يستهلكها حتى لا يكون متخلفا عن الركب.

لابد اذن من أخـذ الطفل والناشي كمشاهـدين، على محمل الجد في التعامل معهما وفي ما يقدم لهما من مـادة، ونحن اذا لم نفعل، واذا استمرينا على عاداتنـا في تقديم ما نعتقد أنه الأنسب من وجهـة نظرنا فان قوة هـذه الوسيلة الاعلاميـة ستفلت من يدنا على صعيد التنشئة، وتضيع الفرصة التي سيتلقفها آنذاك الاعلام المستورد.

رابعاً ـ قضايا كبرى حول التلفزيون، آثاره ومستقبلياته :

ثار جدل كثير في العقود الثلاثة الأخيرة حول الآثار الايجابية والسلبية للتلفزيون، وانقسمت الآراء بين معارضين يشنون حملات كبيرة على هذه الـوسيلة معتبرين اياها رأس الشرور التي دخلت على التنشئـة، وبين مؤيـدين يـرون فيها فـرصـة هامـة من المتعذر أن تتاح من خلال وسائط التنشئة التقليدية، وقام تيار ثالث باتخاذ موقف أكثر موضوعية، وهو التيار الأكثر جدوى في تقديرنا.

فمن ناحية نحن ازاء مرحلـة تاريخية لها تكنولوجياتها ووسائلهـا وتفرض آثارها، لا يمكن مقاومتهـا ولا ادارة الظهر لها، بل لابـد من اتخاذ موقف نشط فيهـا لتعظيم ايجابياتها والحد من سلبياتها.

التلفزيون جزء من تحولات اجتماعية وتكنولـوجية وقيمية، محلية ودولية، ولابد من وضعـه ضمن هذا الاطـار. لقد استطـاع من خـلال تغلغله وشـدة تأثيره كشف وهن ومحدودية الوسائط الثقافية التقليدية وحتى قصورها سواء على صعيد الأسرة أم المدرسـة أم الوسـائط الاجتماعيـة الأخرى للتنشئـة، وهي حـالة يجب أن نحـولها الى فرصة من خلال اعـادة النظر في هذه الوسائط ووظيفتها وطريقـة عملها وتوجهاتها، عندها نستطيع خلق حالة توازن بينها وبين التلفزيون ونكون قد قلبنا المعادلة ووضعنا التحدي على الاعلام المرئي كي يتطور بدوره في اتجاهات أكثر ايجابية. ذلك أن الآثار

السلبية لهذا الاعلام تعود في الدرجة الاولى الى فقدان التوازن والتحدي بينه وبين بقية الوسائل التي أخذت نتيجة لجمودها تفقد مواقعها بشكل متسارع. لقد أصبح معروفا أن شدة جذب التلفزيون للطفل والراشد على حد سواء تتناسب عكسيا مع مدى توفر وجاذبية الأنشطة الثقافية والتربوية والترويحية الأخرى في المحيط. ولقد ثبت أن تأثير التلفزيون سلبيا وشدة جذبه يظلان محدودين تماما (حتى في ساعات المشاهدة ونوعها) في الأوساط التي تقدم للطفل مقومات تنشئة اجتماعية نشطة وايجابية ونظم علاقات وتفاعلات متينة واجابات على احتياجاته الحياتية على صعيد المثيرات والمعلومات، بينما يزداد شد التلفزيون بمقدار تراخي عرى الأسرة وانصراف أولياء الأمور عن الاهتمام بأطفالهم، ويتضاعف هذا الشد في حالات التفكك الأسري وسيطرة جو المشاحنات والصراعات والعدوانية. وكذلك الأمر بالنسبة للمدرسة، وبالنسبة لخلو المجتمع من مؤسسات تنشئة وتثقيف فعالة، فلقد برزت شكوى من أن التلفزيون يعيق عملية التحصيل المدرسي والاهتمام بالدرس، إنما ظهر من الأبحاث أن ذلك لا يحدث إلا في حالات سوء التوافق المدرسي وتعثر التحصيل اللذين ينتجان في الأصل عن قصور كل من الأسرة والمدرسة في تهيئة المناخ المحفز على الدرس والمعزز للنجاح والذي يجد فيه الطفل ذاته.

وهكذا فكلما قلت فرص الحياة الخصبة المليئة بالمثيرات والأنشطة زاد دور التلفزيون بينما كلما ارتفع المستوى الثقافي وتأمنت للطفل احتياجاته على هذا الصعيد قل الاقبال على التلفزيون[٥٣] حتى في هذه الحالة فان الاقبال يصبح أكثر ايجابية وفائدة حيث يمثل فرصة مضافة للنمو والمعرفة والاغتناء الحياتي، وبالطبع يلعب موقف الأهل النشط على هذا الصعيد دورا حاسما، حين يساعدون الطفل على تفهم ما يقدم واستيعابه معرفيا وتمثله وجدانيا بدلا من التأثر العفوي الذي لا تضمن نتائجه حين يهمل هؤلاء أبناءهم ويوكلون أمرهم الى الخدم من ناحية والى التلفزيون من ناحية أخرى.

---

(٥٣) ميشال شوسون، مصدر سابق.

ويثير استخلاص هام عرضته د. بهية الجشي [٥٤] ، الى ضرورة دراسة مختلف المتغيرات المتفاعلة التي تتدخل في تحديد نوع وشدة ومدة واتجاه التأثير على الطفل: الوضع الأسري، الوضع المدرسي، الامكانات البيئية والثقافية، درجة اهتمام الوالدين، المستوى الاقتصادي الاجتماعي، الحالة العقلية والمزاجية للطفل، الصراعات والمشكلات التي يعانيها، احتياجاته للمثيرات الثقافية تبعا للسن والجنس، وكذلك نوع البرامج، مستواها الفني والتقني، تأثيرها الاجتماعي ومدى شعبيتها.

على أن هناك بعض القضايا التي أثيرحولها جدل كبير يأتي العنف في مقدمتها، فلقد ذهب الكثيرون الى أن التلفزيون يشجع على سلوك العنف مباشرة أم بشكل غير مباشر من خلال نماذج السلوكات العنيفة التي يعرضها، ولقد أشير باصبع الاتهام في هذا الصدد الى أفلام الكرتون التي تتضمن مقدارا من العنف يبلغ ٦ أضعاف الأفلام الأخرى[٥٥] ، وهذا ما أثار الكثير من التحفظات حول هذه الأفلام.

لابد هنا من وقفة حتى نتجنب، كما يقول شوسون (علم الاجتماع العفوي)[٥٦]، أي الأحكام القطعية المتسرعة حول التلفزيون بأنه أداة تدريب على العنف، وتخدير الحواس وافقاد الحس بالألم والمعاناة وابعاد عن الحياة، وأنه دون ما عداه المشكلة التي قلبت موازين الحياة.

هناك دراسات عديدة حول الموضوع أثبتت أن العلاقة بين التلفزيون والعنف لم تصل الى نتائج قاطعة[٥٧] ، فقد بينت والكر أن نتائج كثرة مشاهدة أفلام فيديو العنف عند المراجعين على سلوكهم العنيف ليست قاطعة، وخلص برايان ستيل الى نفس النتيجة، من أن كثرة مشاهدة أفلام العنف على التلفزيون لا تؤثر على التعود على العنف وعمله في الحياة اليومية.

---

(٥٤) د. بهية الجشي، رسالتها للدكتوراه، مصدر سابق.

(٥٥) د. بهية الجشي، مصدر سابق.

(٥٦) ميشال شوسون، مصدر سابق.

(٥٧)
_ Walker Royse, PHD **Thesis 84** University of South Mississipi.

_ Stall, Beian neal, **effect of Long-term viewing of Television violence on Cognitive, physiological and behavioural responses to real life violence,** PHD 84.

تذكر د. بهية الجشي (نقلا عن سنجر وكابلن ١٩٨٦) أن التلفزيون لا يعمل على زيادة السلوك العدواني الا عند من لديهم الاستعداد لذلك نظرا لظروفهم، كما تذكر نتائج استقصاء أجرى على ٥٠٠٠ طالب و٢٠٠٠ ولي أمر قام به كل من شرام وبيرل ١٩٨٤ من عدم زيادة سلوك العنف الا عند من لديهم استعداد لذلك. وبين (Pearl) أن هناك حالة من التعزيز تحدث، فمن لديهم ميول للعنف يختارون أفلاماً عنيفة تعزز هذه الميول وتبرر تفصيل عدوانيتهم.

على كل حال العلاقة جدلية بين من لديهم ميول عنيفة وبين أفلام العنف، تبعا لشوسون: ميول عدوانية عند الطفل، تشد الى الأفلام العنيفة مما يعزز هذه الميول.

ويرتبط كل من ميول العنف عند الطفل واقباله على مشاهدة أفلام العنف بالوضعية الأسرية أساسا، هذه الوضعية التي تتصف بالصراع والتفكك وسيادة علاقات العنف داخلها هي المولدة لهذه الظاهرة.

كما أنه لابد من وضع ظاهرة العنف ضمن اطار اجتماعي معين حيث يسود مناخ العنف في العلاقات والسلوك كوسيلة أساسية للوصول الى الأهداف، أما حين لا يسود هذا المناخ، ويكون جو الأسرة سليما متماسكا فلا تؤدي المشاهدة الى سلوك العنف، والطفل لا ينجذب أصلا بشكل خاص نحو هذه الأفلام ولو أنه يبحث أحيانا عن الاثارة والتلاعب بالأخطار وهي مسألة أخرى لا صلة لها بالعنف، حتى أنّ هناك من ذهب الى القول بأن مشاهدة العنف في هذه الحالة تلعب دورا تفريجيا للميول العدوانية الكامنة، مما يجعل احتمال تفعيلها في الواقع أقل بكثير.

أما ما وجه من اتهام الى أفلام الكرتون وما تحويه من عدوانية فلابد من اشارة تصوب الموقف في هذا الصدد. من الضروري التمييز بين العنف الفعلي والعنف الايهامي ذي الطابع اللعبي، العنف هنا يلعب دورا تفريجيا للتوترات النفسية وما يصاحبها من ميول عدوانية ولابد من التوكيد بهذا الصدد أن الطفل يميز تماما بين الخيال واللعب من جانب وبين الواقع والجد من جانب آخر، وهو ينخرط في العنف اللعبي الذي يتخذ طابعا هزليا يفرغ العدوانية من شحنتها المهددة والضاغطة، بينما أن العنف الفعلي الذي تحفل به نشرات الأخبار والتقارير عن الكوارث والمجازر والحروب الأهلية والصراعات بين الفئات المختلفة، وكذلك الأفلام البوليسية

وماتحفل به من عنف مجسد في أشخاص (على عكس عنف الكرتون الهزلي) فهو الذي يفجر القلق وقد يصعد هذه الميول، لأن الطفل يشعر أنه يعيش في عالم مهدد مليء بالعنف والأخطار، وهو اما أن ينسحب وينكفىء أو يطلق العنان لعدوانيته دفاعا عن ذاته، في هذه الحالة يخشى على الطفل والناشىء من العنف، وخصوصا أن القائمين عل هذه البرامج يتعمدون أحيانا بغية الاثارة ابراز هذه الجوانب الصدمية من المآسي، في هذه الحالة يحدث الضرر لارتباطه بمناخ عام يقصف به الطفل على الشاشة وخارجها في الحياة اليومية سواء بسواء.

على كل حال، ورغم ما استحوذت عليه هذه الظاهرة من اهتمام مفرط، إلا انها في تقديرنا لا تمثل مشكلة حقيقية في مجتمعاتنا العربية الاسلامية، فنظام الأسرة الممتدة والتعويض العاطفي والعلاقات الأولية جميعا تشكل حالة لا تولد سلوكات عنيفة في الحياة اليومية والتفاعلات الاجتماعية، بالمعنى الجنائي والعيادي للكلمة، أما العنف الهزلي والعابر والرمزي وغير المباشر فهو مسألة منتشرة في أي مجتمع سليم المقومات متماسك البنيان، وبالتالي لا يشكل ظاهرة خطرة.

وطالما نحن بصدد السلبيات، فلابد من الاشارة الى أن المشكلة التي تعترضنا في العالم العربي، وقد يكون في المجتمع العربي الخليجي تحديدا هي مسألة التحصيل الدراسي وتأثير التلفزيون سلبا عليها، انها مشكلة فعلية ونعاني منها حقا، إلا أن السؤال الذي يجب أن يطرح هو التالي: هل نحن أمام أسباب أم نتائج؟ فهل التلفزيون هو المسؤول عن تدني التحصيل المدرسي أم أن النظام التعليمي بمعوقاته المعروفة هو المسؤول عن ذلك؟ مما يجعل الادمان على المشاهدة نوعا من الهروب من وضعية محبطة في الأصل. قد يكون من الواقعي العودة الى جدلية الأسباب والنتائج، فالمعوقات المدرسية تنفر الطفل من المدرسة والدرس حيث لا يجد ذاته ولا يحصل على التعزيز الايجابي المبتغى، ولا تثار شهيته للتحصيل، وذلك يدفعه الى الادمان على المشاهدة التي تعود فتنعكس سلبا على تدني التحصيل ومعه الدافعية للدراسة. واذا كان ذلك كذلك فلابد من علاج ذي بعدين يتناول المدرسة والأسرة من جانب وبرامج التلفزيون من جانب آخر.

من السلبيات التي تحتاج الى موقف تربوي تأثير التلفزيون على الأنشطة الحياتية بدءا بالنشاط الجسدي والرياضي وانتهاء بالأنشطة الاجتماعية والتدريب على المهارات المختلفة وممارستها، نحن هنا أمام قضية جدية فالاستسهال والركون الى المشاهدة لساعات طويلة يهدد الصحة البدنية للطفل العربي الخليجي، ويؤثر على حدة الحواس والصحة العقلية ويدفع به الى البلادة والكسل[٥٨]، هنا أيضا يجدر التساؤل عن مسؤولية المحيط فالى أي مدى يقدم ما يحتاجه الطفل من مثيرات وأنشطة؟

من السلبيات التي أشار اليها أكثر من باحث كثافة المشاهدة والتي يجب أن تثير القلق فعلا، فلقد اتضح من بعض الدراسات أن كثرة المشاهدة تقيد اللعب الايهامي من ناحية وتتدخل سلبا في نمو اللغة من ناحية ثانية[٥٩]، تكمن خطورة صد اللعب الايهامي في الحد من نمو الخيال وعدم التفريق بينه وبين الواقع، فاذا تذكرنا مقدار ارتباط الخيال بنمو التفكير الابتكاري، واذا علمنا مدى ارتباط هذا التفكير بولوج عصر ما بعد التكنولوجيا، بانت لنا الخطورة. أما مسألة اللغة فان تدني نموها بسبب من الادمان على المشاهدة يمثل مصدرا فعليا آخر للقلق، اذا علمنا مدى ارتباط نمو التفكير المجرد الذي يمثل أرقى حالات الذكاء بنمو اللغة.

ولكن هنا أيضا لابد من طرح السؤال، الى أي مدى يترك الطفل لشأنه أمام الشاشة الصغيرة؟ والى أي مدى تستغل هذه الشاشة لتقييد حيويته وحركته (وشغبه بالضرورة) من قبل أولياء الأمور؟ تلك هي المسألة الحقيقية في نظرنا، فالبلادة والكسل والاستسلام وقصور نمو اللغة والعزوف عن الأنشطة الحياتية تعود مسؤولياتها الى القائمين على شؤون الطفل بالدرجة الأولى. وهنا تصبح أمراض الشاشة مجرد أعراض لأمراض فعلية تتقنع وراءها. ولابد من علاج ينصب على موضع المرض الفعلي وليس على أعراضه.

خلاصة القول، ان مشكلة المادة الاعلامية في مختلف جوانبها، هي في الأصل

---

(٥٨) د. ابراهيم الخليفي، «أثر التلفزيون على الطفل الخليجي خلال العقد الأخير»، **ندوة الطفولة في مجتمع متغير**، مصدر سابق، ذكرته د. بهية الجشي في ورقتها بعنوان تأثير التلفزيون على الطفل، مصدر سابق، ص٢٠

(٥٩) Martin, Fowler, PHD **Thesis 1984**. California School of Professional Psychology.

أحد جوانب الخلل في التنشئة والتربية، واذا كان للتلفزيون من سلبيات فهي مظهر من سلبيات الواقع الاجتماعي والتربوي، لا يختلف في شيء عن سلبيات المدرسة، وقصور وسائط التنشئة واضطرابات الأسرة، والعلاج لابد أن يشمل هذه الأبعاد جميعا، بشكل مترابط، متكامل.

عل أنه لابد في نهاية المطاف من التركيز على ايجابيات التلفزيون للاستفادة منها وتثميرها، فالرهان على هذه الايجابيات هو الأضمن طالما أن التلفزيون يرتبط بالتكنولوجيات المستقبلية في الاتصال والاعلام والمعلومات. وهي لا زالت في بداية تطورها، مع أنها أخذت تشكل الحياةالاجتماعية بدرجة متعاظمة، امكانات التلفزيون لم يستغل منها بعد عالميا ومحليا سوى القليل، انها تحمل فرصة قلب نظم التعليم والتربية في الوسائل والطرائق، كما انها تشكل المدخل للتحول من التعليم بمعناه الضيق الى تكوين الشخصية بمعناه الشمولي، فالفرص التي يتيحها للطفل تفتح أمامه آفاقا قد يتعذر فتحها بوسائل أخرى: تقريب التاريخ والجغرافيا وحضارات الشعوب والطبيعة والعلوم والفنون على اختلافها والتكنولوجيا وتطبيقاتها وقضايا العالم، وتمده بفيض لا ينقطع من المعلومات ندر أن عرفت لها البشرية هذه الدرجة من الكثافة والتركيز ضمن الحدود الزمنية العادية، فقط التلفزيون وتطبيقاته التقنية وتنوع مادته يمكنه أن يساير انفجار المعلومات وتسارع تطورها باعتباره الأقرب الى الواقع الحي والأقدر على نقله في جميع أبعاده.

لابد إذن من اعداد أنفسنا للتعامل مع هذه التكنولوجيا والاستفادة منها، فنكون قد أعطينا أجيالنا الفرصة الفعلية لولوج المستقبل. طبعا يقتضي ذلك كله تغيير أسلوب استهلاك المادة الاعلامية سواء على صعيد التقديم أم على صعيد تربية عادات المشاهدة والتفاعل معها، فإضافة الى تخليصها من الشوائب التي تمثل سلبياتها، وهذا ممكن ومتيسر، في الاعداد والتقديم، لابد من تربية المشاهدة النشطة التي تحقق فعلا محو الأمية الاعلامية، والمجال هنا مفتوح لكل الجهود، وأعمال التطوير والتجديد في الرؤية والأساليب وتدبر وسائلها، على أنه في كل حال لابد من تكامل وسائل التنشئة. فالفائدة تتحقق من خلال هذه النظرة التكاملية، حيث يقوم التلفزيون بوظائفه المختلفة ليس كحالة معزولة، أو مضادة لغيرها من الوسائل، بل كامكانية تعزز عملها وتعطيها كل الزخم المستقبلي.

الفصـــل الخامـــس

نحو صياغة مقترحة لمشروع
اعلان اعلامي عربي خليجي للتنشئة الاجتماعية

أولاً ـ مقدمـــة .. مقومات استراتيجية إعلامية في التنشـــئة :

عملت الفصـول الأربعة السـابقة في كل مـا طرحت ونـاقشت على بلورة صـورة للـواقع تشكل مدخـلا إلى صيـاغة عنـاصر مشروع لاعـلان اعلامي عـربي خليجي للتنشئة الاجتماعية. هذا المشروع لابد له من أن يتوجـه في مقوماته وعملياته للتعامل مع الحالـة المميزة لهذا المجتمع الخليجي، بما يمتلك من خصـائص تضرب جذورهـا بعيداً في التـاريخ، ومـا تتعرض لـه من مؤثـرات وتحديات راهنـة ومتعاظمـة، وما تطمح إلى تحقيقه من أهداف مستقبلية من ناحية ثالثة.

يتعين إذن تحديد خيارات كبرى تشكل إطار الاعـلان المبتغى وتعطيه خصوصيته وروحيتـه، عليها تبنى كل العمليـات ومنها تستلهم كل التـوجهات، ممـا يجعل لهذه العمليات على تنـوعها وتشعب مجالاتها وحـدة متماسكة سواء في الإعـلام أم في سواه من الـوسائط، ذلك أن التنشئـة هي في الأصل كلٌّ متكـامل، ولو بـدا ظـاهريـا أن الأجزاء فيه كيانات تتنافر أو تلتقي أو تقوم بذاتها.

إن تـاريخ المجتمع العـربي الخليجي، وواقعـه الراهـن وتطلعاتـه المستقبليـة يملي إستراتيجية في التنشئة ذات بعدين متكاملين يتمثلان في الأصالة العربية الإسلامية من ناحية والاعداد للمستقبل وصناعة المصير من ناحية ثانية.

والطفل العربي الخليجي يكون بالتالي ذلك الكـائن النامي المتمتع بانتماء إلى أصالة تتعـزز على الـدوام وتعطي لهويتـه الـوطنيـة جذورهـا المنغـرسـة عميقـا في التـاريخ والجغرافيا، والذي يتهيأ لصناعة المستقبل من خلال التزود بعدّته.

تمثل هـذه الإستراتيجيـة مسـاراً مستمـراً يمكـن أن يطلق عليـه اسم (الأصـالـة المستقبلية)، ولابـد بالتالي من طرح لمميـزات هذه الأصالـة من ناحية ولعدة صنـاعة المستقبل من ناحية ثانية، وكل جهد إعلامي على صعيد التنشئة سيتضح انه ينطلق من هذا المسار ويرفده ويغنيه في آن معا.

١ ـ التنشئة الإجتماعيـة والأصـالة :

الطروحـات والمساجـلات في مسألة الأصـالة والهوية والتراث شغلـت المفكرين العرب، وتعـددت فيها الآراء والمواقف. ولا يعنينا العـودة إلى ذلك، حيث تحفل به المؤلفـات الفكريـة [٦٠]. إنما يتضح من إستعـراض الأدبيات أن الأصالـة تخرج عن إطار التجميد والتمجيد من ناحية، كما انها تخرج عن إطار التنوع والتغير الدائمين من ناحية ثـانية، فلا هي اذن ثباتيـة تأخذ شكل الجوهر المعطى مـرة واحدة ونهائية، ولا هي دائمة التحـول والتعدد مما يفقدهـا تماسكها ووحدتها، ان لها مرتكـزات مستقرة تضمن لها خصوصيتها واستمـرارها كما انها في بعدها الآخر دينامية مرنة، قادرة على التفـاعل مع كل ما يطـرأ على تاريخ الأمـة من تقـدم أو تقهقر، هـذا التفاعل مـا بين أصـول ثابتـة تعطي الحضـارة العـربية ــ الإسـلامية طـابعهـا المميز، وبين التحـرك والدينامية والتنوع تبعا للتفاعل الداخلي للمجتمع والتفاعل مع الـواقع العالمي، هو الذي يعطي الأصـالة (كما تتجلى في الثقـافة) حيـويتها وانفتـاحها على المستقبل في آن معا، بالإستناد إلى مقومات راسخة. الأصالة ليست ذاتا جامدة من الخصائص، إنما هي بنية متماسكة متطورة ذات أبعاد فكرية ومعتقـدية وسلوكات حية. انها بنية تغتني وتتطـور بـالأخـذ والعطـاء والحوار، حيث تتجـدد وتعيـد خلق ذاتها، تتغـذى بالموروثـات العريقة للمجتمع وبقـدراتها الداخلية الإبـداعية. كما تتغذى من حـركة الفكـر العالمي بما يتفـق مع العقيدة والعـادات والتقـاليد ممـا يجعلهـا (سعي دائب إلى مشروع كياني يكفل خلق المستقبل من أضلاع الماضي)[٦١]، الأصالة ليست اذن كيانا ثـابتـا يتكـــرر بشكل رتيب، انها تتجلى من خـلال الفعـل والسلـوك والمواقف والتوجهات.

---

(٦٠) انظر من أجل طـرح هذه المسألة بكـامل أبعادهـا، يوسف الجباعي، «إشكـالية الأصالـة والهوية في ثقافـة الطفل العربي»، الفصل الخامس من كتاب **ثقافة الطفل العربي**، مصدر سابق.

(٦١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة**، مصدر سابق، ص ٥٠.

ما هي الترجمة العملية لذلك على صعيد ثقافة الطفل وتنشئته؟ انها تتمثل بربط الطفل في المجتمع العربي الخليجي بحضارته العربية الإسلامية من خلال اللغة والشارات والرموز والقيم والمناسبات والأبطال والسير والوقائع الكبرى مما يكون الحيّز الزماني ـ المكاني للهوية العربية ـ الإسلامية. ويترجم هذا عمليا في التنشئة على صعيد الإعلام، وبقية الوسائط في عدة توجهات.

١ ـ ١ ـ **تأتي التربية الدينية الاسلامية وتعزيز الإيمان والإنتماء الاسلامي في صدارتها**، وذلك لكونها تشكل روح الأصالة العربية الاسلامية واحدى مكوناتها التي ينبغي اعتمادها في التنشئة الاجتماعية من خلال الوسائط الاعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، وأن تكون وثيقة الصلة ومعاصرة لهموم ومشاكل المجتمع العربي الخليجي، وبحيث تبرز وتقدم الاسلام من خلال رؤية متكاملة ومشوقة تخلو من الغلو والتطرف، كما تخلو من الخرافة والبدع، وتعمل على تصحيح كثير من المفاهيم والقيم الاجتماعية والثقافية الخاطئة والتي لا تتصل من قريب أو بعيد بتعاليم وقيم ومبادىء الدين الاسلامي، الأمر الذي يعتبر انتشارها من معوقات الارشاد والتوجيه الاجتماعي والتربوي[٦٢]، كما يجب أن تنطلق البرامج الاعلامية من عقيدة الاسلام وتنضبط بالقيم الاسلامية والثقافية العربية[٦٣]، وتؤكد التوصيات على ضرورة العناية بالمضمون الإجتماعي والإقتصادي في التوجيه الديني، وتوصيله بأسلوب جذاب.

لقد كتب الكثير عن مقومات التربية الإسلامية في الإعلام، ومن بينها دراسة المكتب التنفيذي حول القيم والتحولات الاجتماعية المعاصرة، كما فصلت أهداف هذه التربية في دراسة لمكتب التربية العربي لدول الخليج في ثمانية عشر هدفا أبرزها ما يلي[٦٤]:

ـ معرفة الإسلام بشكل صحيح خال من الشوائب والبدع.

---

(٦٢) المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، **القيم والتحولات الاجتماعية المعاصرة**، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية. (العدد ١٦)، البحرين ١٩٩٠م.

(٦٣) مكتب التربية العربي لدول الخليج، توصيات **ندوة ماذا يريد التربويون**، الجزء الثالث، مصدر سابق.

(٦٤) المصدر السابق، الجزء الأول ص٣٣٢ ـ ٣٣٤.

- الاحاطة بمبادىء العقيدة الإسلامية على أساس الدراسة والفكر والإقتناع.
- إنماء الولاء للإسلام والإعتزاز به والعمل على تحقيق مبادئه.
- التحرر من الخرافات والأوهام من خلال تنمية التفكير السليم والإستنباط العلمي الصحيح.
- النمو المادي والمعنوي وفق التوازن الذي تحققه الشريعة الإسلامية بينهما، والعمل على النمو الشامل للفرد: نفسيا، خلقيا، عقليا، إجتماعيا وجسديا.
- إنماء الرغبة المعرفية الفطرية وربط العلم بالعمل.
- تمرس القيم الإسلامية: روح التعاون ـ البر والتقوى ـ التكامل والتضامن ـ التراحم والمودة ـ الإيثار والتضحية والعفو عند المقدرة.
- التدريب على مجاهدة النفس وشهواتها وأهوائها من خلال تعزيز الإيمان.
- نشر أساليب العمل الجمعي، وتكافل الجماعة ووحدتها ومبدأ الشورى.
- تقوية مشاعر الحب للوالدين والإنتماء الأسري والوطني في إطار التعاليم التي توجب محبة الوالدين والذود عن الوطن.

أما الخطة الشاملة للثقافة العربية[٦٥] فلقد أكدت على ضرورة تنمية القيم العربية الإسلامية ذات الطابع الإنساني في مجالات السياسة والإجتماع والإقتصاد والفكر:

- ففي السياسة تغرس قيم تكريم الإنسان والشورى والعدل والعدالة، والمسئولية والسماحة الفكرية والإجتماعية ورفض الظلم.
- وفي المجال الإجتماعي تبرز قيم التكافل الإجتماعي والعدل الإجتماعي والمسئولية العامة للجماعة.
- وفي الإقتصاد يبرز تمجيد العمل والإنتاج والتعاون وصدارة المنفعة العامة على المنفعة الفردية

---

(٦٥) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة الشاملة**، المجلد الأول، التقرير النهائي، مصدر سابق.

ـ أما في الناحية الفكرية فتغرس قيم تكريم العلم والبحث عن المعرفة من أي مصدر أتت طالما هي نافعة للفرد والجماعة، وكذلك الإجتهاد وتفهم الكون واعمال الفكر والتبصير بالحياة، تكمن أهمية هذه المبادىء جميعها في تعزيز الإيمان من ناحية وتعزيز التماسك الإجتماعي والإنتماء من ناحية ثانية، والتوجه الإيجابي في التعامل مع الحياة وصناعة المستقبل من ناحية ثالثة، وهو ما يبرز أهميتها الفعلية والحاجة إلى ترجمتها إلى برامج إعلامية.

كما أن أهمية التربية الدينية تعتمد على «الترغيب والترهيب» وذلك لضبط الإنفعالات والعواطف والموازنة بينهما بحيث لا يطغى الخوف على الأمل والرجاء في الله ورحمته، وكذا لا ينبغي أن يطغى الفرح على الإنسان فيطغيه غروره وينسيه عذاب ربه، ولهذا يجب أن يتدرج «الترغيب والترهيب» مع الإنسان ليناً وشدة بحسب مراحل عمره ونموه. من التخويف بلطف إلى الوعظ والنصح إلى التهديد والتخويف.

ولا تقتصر التربية الدينية في الإعلام على البرامج الموجهة إلى الأطفال ذاتهم، بل لابد أن تنطلق من التثقيف الديني للكبار حول أصول التربية الإسلامية التي تربط الإنسان بخالقه وبالحياة والعمل. وهنا لابد من التركيز على تعاليم الإسلام في كيفية تنشئة الأطفال وحقوقهم على الوالدين، ومراعاة المراحل العمرية، وتدريبهم في كل مرحلة على المهارات الحياتية.

تتمثل أهم تعاليم الإسلام في توعية الأسرة والمجتمع لتنشئة ورعاية الطفولة في المقومات التالية التي يتعين وضع برامج تثقيفية للأهل للتمسك بها[٦٦] :

---

(٦٦) د. عبدالمعطي البيومي، «تعاليم الإسلام في توعية الأسرة ورعاية الطفولة» في كتاب **واقع الطفل العربي عام ١٩٩٠**، منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة ١٩٩٠م.

- الرعاية بعد الولادة من مثل : وجوب إظهار البشر والابتهاج بمقدم الطفل بصرف النظر عن جنسه، وحسن اختيار الاسم، والرضاعة حولين كاملين والرعاية الصحية الكاملة.

- أما أسس التربية في الإسلام فتتمثل في : المساواة في معاملة الأبناء، القدوة الحسنة للأبناء من قبل الوالدين، الحب والتراحم، الرعاية الكاملة وتجنب الإهمال والنبذ.

- وتؤكد التربية الإسلامية على تدريب الطفل على الإستقلالية، وتعويده على الشجاعة وابداء الرأي والحوار وتنمية قوة الشخصية والفهم الصحيح للأمور، كما تؤكد على الأهمية الكبرى للتعليم في الإسلام والتوكيد على التعليم من أجل المستقبل، وتعليم المهارات الحياتية الأساسية. بما في ذلك الاهتمام بالصحة والتربية البدنية للطفل، فالعقل السليم في الجسم السليم، وكلها تعاليم وردت فيها أحاديث نبوية شريفة، وآيات قرآنية كريمة، يتعين التركيز عليها نظرا لأنها تمثل فعلا وحقا برنامج حياة يصنع الأصالة المستقبلية.

ومن هنا فان الاعلام يتعين عليه اعطاء هذا البعد من تثقيف الأهل أهمية خاصة لضمان شمولية التربية الدينية، وخصوصا ان هذه التعاليم لا تنمي الإنتماء الديني فحسب بل هي ترسى أسس الصحة النفسية للطفل واعداده للحياة.

٢ - ١ - **تأتي التربية القومية والوطنية في المقام الثاني المكمل للمقام الأول والمتمثل بالتربية الاسلامية في تنمية الانتماء**، يتمثل الانتماء العربي والوطني في بعده الزماني - المكاني (التاريخي - الجغرافي)، وفي الثقافة العربية الإسلامية ومكوناتها.

ويتطلب بالتالي تنمية الحس التاريخي في وقائعه وبطولاته وانجازاته وحضارته ومعاركه وأحوال العمران والناس والسياسة، وتطور

التفاعل بين بلدان العالم العربي وبينها وبين العالم الخارجي، وهذا يؤدي إلى الانغراس في الزمان وتنمية الوعي بمدى عمق وكثافة هذا الانغراس، وتتفاعل بالطبع على هذا الصعيد المقومات الوطنية مع المقومات الدينية.

أما الانتماء في المكان فتتمثل تنمية الوعي به في التعرف الوثيق على العالم العربي ـ الإسلامي وعلى أقطار الخليج في جغرافيتها وطبيعتها وأحوالها الإقتصادية وثرواتها ومناخها وامكاناتها وأهمية موقعها ومكانتها، وأثر ذلك كله على طبيعة الحياة والناس وتفاعلاتهم، والتفاعل ما بين الزمان والمكان في ارتباطه بالحضارة العربية ـ الإسلامية.

ومن مقومات الانتماء التعمق في استيعاب البعد الرمزي التعبيري المتمثل باللغة العربية والجماليات العربية وخصائصها في الشكل واللون والايقاع. ولابد من اعطاء البعد الشكلي أهمية خاصة لما له من تأثير عميق وعفوي في تشكيل الهوية الوطنية، ويضاف إلى ذلك بالطبع ابراز المناسبات التي تشكل لحظات المشاركة الجماعية واندماج الفرد في الجماعة واكتساب هذه الهوية الجماعية من خلال تلك المشاركة : الأعياد، المناسبات الدينية والوطنية.. وكذلك تذوق الآداب العربية والإحساس بمدى عمقها وقدرتها التعبيرية في نقل تجارب وخبرات الناس.

تمثل الهوية العربية الإسلامية، كما الإنتماء الوطني إلى المجتمع العربي الخليجي عامل الحصانة الأساسي في الحفاظ على هذا المجتمع وفي متانة تكوين الشخصية العربية الخليجية فى مواجهة المؤثرات والمثيرات الإعلامية والسلوكية المباشرة الوافدة من كل حدب وصوب والتي تشكل حالة تهديد جدي وامكانية زعزعة وبلبلة حقيقية للانتماء والهوية، وحين تتكون هذه الحصانة يصبح التعامل مع المؤثرات الوافدة فرصة للاغتناء الوجودي والانفتاح على الكون،

ومن هنا تنبع ضرورة كل الجهود التي لابـد أن تبذل، فالمسألة ليست تـرفا أو تحيـزا وتعصبا مجانيين، على أن تنميـة هـذه الحصانـة تتطلب تخطيطا فعالا ومتعدد الأبعاد للاعلام في تعامله مع هذا الهدف الكبير وتحقيقه، فالمسألة لا يمكن أن تتـم بالوعظ أو التلقين أو الشروحات المملة، بل لابـد من توسل كل آليات التنشئـة والتأثير الاعلامي التي تحدثنا عنها.

٣ - ١ - **تأتي التربيـة العـالميـة في المقام الثـالث المكمل للمستـويين السـابقين.** فلاشك اننا جزء من الانسانيـة جمعاء ونتقاسم العيش ووحدة المصير على هذه الكـرة الأرضية بعد أن أصبح كل شيء مـرتبطاً بكل شيء. وبعد أن تهاوت حدود الزمان والمكان وبعد أن أصبح التفكير الوطني لا ينفصل عن التفكير العالمي.

التنشئة لابد لها أن تستكمل مقوماتها بما أصبح يعـرف بالتربية العالمية وأسسها كما تنادي بـه كل التقارير الدولية لاعـداد انسان القرن ٢١ : الانفتاح، التواصل، المشاركة والتعاون في بناء سلام الأرض ورخاء الانسان، الجهود المشتركة لحماية البيئة وحق الأجيال الطالعة في مجال حيوي سليم، وحقه في نصيب منصـف من الثروات الطبيعية، ومنع هدرها، الانفتاح على الثقافـات والمشاركة في بناء المشروع الحضاري الكوني، انطلاقاً من الأصالة العربية الاسلامية.

إن من متطلبـات تنمية الانتماء، عـدم اغفال بعـد آخـر هام من هـذا الموضـوع، ألا وهـو تعـدد الانتماءات بتعدد مستـويـاتها والـذي آن الأوان لـلاعتراف بها كحقيقة قـائمـة، لعـوامل عـديدة، فـالانتماء القطـري تعبير جـائز ومشروع عن الـواقع السيـاسي والقـانـوني، والانتماء الاقليمي ـ هو الآخر ـ تعبير جائز ومشروع عن الخصائص الاقليمية المشتركة والمتشـابهة، والانتماء القومي تعبير جائز ومشروع عن وجود الأمة العربية، والفـرد العربي في عملية التنشئة الاجتماعية يحتاج إلى الارتباط بهذه الانتماءات المتدرجة التي ليست عقائد متنافرة

ينفي بعضها بعضاً أو المبالغة في تثبيت انتماء على آخر، فأبناء منطقة الخليج جزء من أبناء الأمة العربية في انتمائها القومي العربي والاسلامي، والذي بدوره لا يمكن أن ينفصل عن الاسلام، فالاسلام بثقافته وقيمه وكل معالم حضارته هو الملىء موضوعياً وتاريخياً للحياة العربية[٦٧]. هذه الدوائر من الانتماءات المتكاملة التي تدعم بعضها بعضاً وتغذي بعضها بعضاً يجمعها الاطار الانساني العام الذي ننتمي إليه، ولابد أن يكون لنا مكان فاعل في تقرير مصيره وبناء معالمه.

٢ ـ التنشئة الإجتماعية والمستقبل:

لم تكن قضية المستقبل راهنة كما هي عليه اليوم، انها تكاد تشكل البند الأساسي في اهتمامات المجتمعات المتقدمة، التي تتسابق في إعداد العدة لولوجه واحتلال موقع فعال فيه، الكل يستعد لصدمة المستقبل وخصوصا على صعيد التنشئة الإجتماعية، ذلك أن ترك هذه المسألة لمجريات الأمور العفوية، بدون تخطيط وتوجيه واعداد يهدد في الانزلاق، إلى مواقع هامشية، والخروج من حلبة التنافس على كسب المستقبل، أو خسارة الرهان عليه، من هنا لم تعد المسألة تنحصر في اسقاط للحاضر على المستقبل في مختلف عمليات التنبؤ وكأن المستقبل هو امتداد طبيعي للحاضر، بل تحول الاهتمام الآن إلى الدراسات الاستشرافية التي تضع الأطر (السيناريوهات) المختلفة لكيفية التعامل مع هذا المستقبل ومقتضياته وتحدياته ومخرجات كل من هذه السيناريوهات، لم يعد المستقبل مسألة تنبؤ بما يمكن أن يرجح من احتمالات، بل هو تحول إلى جهد عقلاني علمي مقصود ومبرمج لصناعته من خلال اعداد العدة له، وتشير الدراسات الاستشرافية في هذا الصدد إلى أن الأمة العربية بمجملها بما يتوفر لها من امكانات مادية وموارد بشرية وما يعترضها من تحديات ومعوقات هي أمام أحد احتمالين الأول هو جيد جدا اذا أحسن استغلال الموارد وأعدت العدة لتنشئة أجيال مستقبلية تصنع مصيرها، والآخر سيء جدا إذا تركت الأمور هكذا لمجرياتها.

---

(٦٧) المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية، **القيم والتحولات** ـ مصدر سابق، ص٥٦

من هنا تبرز أهمية التنشئة المستقبلية التي لم تعد ترفا، بل أمست حالة مصيرية، ولقد أصبحت العدة المستقبلية على صعيد التربية والتنشئة معروفة يتعين على كل وسائط التنشئة أن تكون على بينة منها وأن تقوم كلّ فيما خصها بقسطها منها، على أن تتكامل هذه الجهود فيما بينها لتحقيق أهداف السيطرة على المصير. ان اعداد وتشكيلة وتنمية شخصية جيل المستقبل، إنما يقوم على التزود بالعقيدة الاسلامية تربية وسلوكاً في مختلف مجالات التفاعل الاجتماعي، المدرك لموروثه الثقافي، المتفاعل مع الحاضر من منطلق الاستقلال والوعي الذاتي، وعلى الانفتاح على تجارب الآخرين للاستفادة منهم من غير مسخ أو نسخ أو تشويه لهويته الذاتية العربية الاسلامية، المنفتح على المستقبل بثبات وإدراك والمستفيد من كل ما هو ايجابي في التغيرات المتسارعة على مختلف الأصعدة من أجل خدمة أهداف التنشئة المستقبلية وتلبية احتياجاتها.

أبرز الاحتياجات على صعيد التنشئة تتمثل في :

- **تنمية شخصية مزودة بحصيلة ثقافية عامة واسعة** تمكنها من تفهم ظواهر المجتمع والعالم الدولي المتزايدة في التعقيد والتشابك والتفاعل وصولا إلى تحليل هذه الظواهر والقدرة على الوقوف منها موقفا نقديا تمييزيا.

- **تنمية الشخصية الواثقة من نفسها** القادرة على اتخاذ القرارات في مختلف وضعيات الحياة بالأسلوب العلمي وليس بالإنفعال أو التسلط.

- **تنمية القدرة على الحل المنهجي للمشكلات في العلم كما في الحياة** ابتداء بتعريف المشكلة ثم تحديدها ثم تشخيص مختلف القوى الفاعلة فيها ثم تحديد دور كل من هذه القوى وديناميا تها الداخلية وصولا إلى إكتشاف الأسباب ومنها إلى وضع الحلول مع موازنة سلبيات وإيجابيات كل منها.

- **تنمية القدرة على برمجة النشاطات الذاتية** من خلال مهارة تحديد الأهداف بطريقة علمية تتضمن تحديد الكم والزمن والأولويات والتسلسل.

- **تنمية الشخصية التي تتمتع بالمرونة القادرة على التوافق والتكيف مع الوضعيات المستجدة والتحولات المتسارعة** بما يتفق مع الثوابت الأصلية في الثقافة

العربية الاسلامية والتي ستميز حضارة مـا بعد التكنولوجيا، وتتضمن هذه القدرة إمكانية التحـول من مجال إلى آخر مهنيا، ومن أسلوب إلى آخـر في العيش والتعامل مع وقائع الحياة.

- **تنميـة القـدرة على التفكيـر الإبداعـي بما هو أداة كسـب السبق في حضارة ما بعـد التكنولـوجيا**، فهذه الحضارة وما ستحمله من تحديـات وما تطرحه من اشكالات تتطلب القدرة على الخروج من الحلول الروتينية التقليـدية وصولا إلى ابتداع الحلول المبتكـرة، التي تخرج عن المألوف، إذ في هـذه الحلول يكمن التقـدم الفعلي، حيث يعاد تنظيم العـلاقات بين عناصر وضعيـة ما، أو يعـاد استخدام موارد من نـوع ما بطرق غير تقليـدية، ذلك ما يطلـق عليه اسم التحسين والتجديـد، إلا أن عصر ما بعد التكنولوجيا يتطلب السير أبعد مـن ذلك وصولا إلى ابتداع مشكلات جديدة، وطرح اشكاليات لم يسبق أن طرحت وتقديم الحلول المبتكرة لها، هنا تحديدا يكمن مفتاح السبق في التنافس المتطاحن على كسب معركة المصير.

يتعين على الاعلام اذن تخطيط البرامج الملائمة لتحقيق هذه الأهداف المستقبلية في التنشئة، وهو تحد لم يسبق أن طرح لا على التنشئـة ولا على التعليم ومؤسساتهما. على أن التنشئة المستقبلية لا بـد أن تظل وثيقة الصلة بتنمية الأصالة وليست حـالة منقطعة عنهـا، لا بـد اذن من الاستمـراريـة في تـاريـخ حي متحـرك من الأصـول العميقـة للحضارة العربية الإسلامية في أكثر قواها حيوية إلى إعداد العدة للمستقبل، ذلك قد كون ما أطلق عليه (الأصالة المستقبلية) أي اسهام في المستقبل الوطني ومستقبل العالم انطلاقا من انتماء راسخ وهوية متينة البنيان.

على أن كل من تنمية الأصالة وصنـاعة المستقبل ليسا منقطعين عن الحاضر، لابد للأصـالة، كما لاعداد العـدة للمستقبل من ربط الطفل بواقعـه المعاش وقضايـا أمته وآمالها، فالربط بالتاريخ يتلازم مع الربط بالواقع تطلعا إلى المستقبل.

ولابـد للتنشئة على هـذا الصعيـد من تحقيق أهداف هـامـة في التعامل مع واقعنـا وتسيير قضاياه، يتمثل أبرزها فيما يلي [٦٨] :

---

(٦٨) المصدر السابق، ص٥٥ ـ ٥٨

- **تثبيت معنى الخدمة العامة في المجتمع** وتوكيد قيم العمل والإنتاج وكشف ميول الوجاهة الإستهلاكية والاتكالية ومحاربتها والتوكيد في تقويم سلوك الناس على الإنجاز والإنتاجية وليس على الروتين.

- **التوكيد على قيم الإتقان والجهد المنظم** الذي يرفع مستوى المنتجات سواء كانت سلعا أم خدمات.

- **الإرشاد إلى قيمة الزمن وتخطيطه وحسن استغلاله**، فهو الشيء الوحيد الذي لا يمكن ادخاره أو تأجيله، ولا بد من أجل ذلك من تنظيم حياة الطفل وحسن برمجتها وتعويده على أسلوب حياتي موجه.

- **تثبيت قيمة احترام الأنظمة والقوانين، واحترام العام والحد من طغيان الأنانيات الفردية على حساب المصلحة العامة**، ويدخل ضمن هذا الاطار مسألة هامة هي تنشئة الانسان المؤسسي في مقابل الإنسان الفردي، ذلك ان حصانة المجتمع متلازمة مع مدى متانة مؤسساته وقوتها. ولا يجدي أن ننشيء أفرادا أقوياء بدون اطر مؤسسية تستوعبهم وتنظم جهودهم وتفاعلاتهم، وقد يكون أحد جوانب قصور مناعة المجتمع العربي عموما هو ضعف مؤسساته لحساب قوة أفراده.

- **من أبرز ما يتعين الاهتمام به في الاعلام ودوره في التنشئة محو الأمية التكنولوجية عند الجيل الطالع من أطفال وناشئة**، ويتأتى ذلك من خلال مادة تغطي مختلف تطورات واستخدامات ومجالات التكنولوجيا، ذلك ان هذا الجيل سيكون مدعوا للتعامل مع عالم تسيطر عليه التكنولوجيا سريعة التطور والتشعب في الاستخدام في العمل، كما في الثقافة والترويح وقضاء الحاجات الحياتية.

يشكل ما عرضناه هنا عناصر تطبيقية على صعيد الاعلام، وهي عناصر تشكل عناوين لأهداف عملانية (تشغيلية) من خلال تحويلها إلى خطط وبرامج، على أن التطبيق لا بد له من اطر عامة تمثل المعايير التي تحكم عملياته من ناحية، والمرجعية التي يقوم انطلاقا منها من ناحية ثانية، فما هي أبرز الأطر المرجعية اذن ؟.

ثانياً ـ الأطر العامة والمعايير :

هناك مجموعة من المعايير تشكل الاطار العام للبرامج الإعلامية التي توضع لتنفيذ أهداف استراتيجية التنشئة في أبعادها الثلاثة : الأصالة ـ المستقبل ـ الواقع الراهن. تحدد الأهداف وجهة البرامج ومجالاتها بينما تمثل المعايير الضوابط التي تضمن حسن التوجه وتشكل ضمانة السياسة الاعلامية وتتيح بالتالي تقويم عملياتها.

هناك مجموعة من المعايير توافق عليها المعنيون بالشأن التربوي والاعلامي على اختلاف مستوياتهم، كما يتوافق عليها اختصاصيو التنشئة.

يطرح عبدالعزيز جعفر المبادىء التالية للاعلام الخليجي [٦٩] :

ـ **الإعلام الصادق وتزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة مع التوعية والتعبئة النفسية**، ويستتبع ذلك الابتعاد عن الزيف والتمويه والمغالاة والإثارة.

ويترجم ذلك على صعيد الطفل في اعطائه جرعة كافية من التعرف على الواقع بإيجابياته وسلبياته وخصوصياته وتحدياته، فليس من المستحسن إبعاد الطفل عن الحياة وقضاياها بحجة الحفاظ على براءته، على أن ذلك لا يعني بالعكس اغراقه في هموم الواقع اليومية، ان اعطاء الطفل هذه الجرعة تساعده على اكتساب المناعة الذاتية في التعامل مع شئون الحياة، كما انها تغرس في نفسه مشاعر الانتماء إلى واقع فعلي، وبالتالي تشعره بأنه معني، ويمثل هذا وسيلة لتنشئة أجيال مهيأة للإمساك بزمام أمور بلدها والتعامل معها.

ـ **اختيار المادة الإعلامية ذات القيمة على صعيد التربية والتوجيه والترفيه والترويح**، والابتعاد عن الاضحاك المبتذل والتسلية الرخيصة، وتسول الضحك بالنكات والدعابات اللفظية الممجوجة، وتطهير جو الاعلام وجو الأسرة ودنيا الطفل من كل ما ينزل بالذوق الرفيع إلى حدود الهزلية، ذلك ان نسبة من الانتاج العربي، وحتى من الانتاج المستورد تتوسل هذه الوسائل الهزلية الممجوجة التي تسطح

---

(٦٩) عبدالعزيز جعفر وكيل وزارة الاعلام لشؤون الاذاعة، الكويت، «أهداف الاعلام في دول الخليج العربي» وردت في **ماذا يريد التربويون من الاعلاميين**، الجزء الأول، ص١٥٤ ـ ١٥٦، مصدر سابق.

الوعي ولا تحمل زادا في محاولتها لاستقطاب الجمهور، وهو ما يتأثر به الطفل كثيرا وقد يميل إلى محاكاته بشكل غير تربوي فيما بعد، ولايعني ذلك الغاء الترفيه والترويح على العكس، فهذه وظيفة أساسية في الاعلام وقناة هامة للتغلغل إلى دنيا الطفل بغية توجيهه.

- **تدعيم الانتاج الفني الذي يستوحي ويحلل ويعالج حاجات المجتمع العربي الخليجي في ميادين اللغة والعلم، والفن والأدب والاجتماع**. كما يطرح قضاياه وتاريخه وتراثه ومشكلاته، في نفس الوقت الذي يبرز فيه امكاناته وطاقاته الكامنة.

وفي هذا الصدد، من الضروري بل ومن المحتم أن توكل مهمة تدعيم هذا الانتاج الفني في الميادين المذكورة إلى ذوي الخبرة والكفاءة من المتخصصين في هذه المجالات حتى تتم عمليات التحليل والمعالجة وفق أسس ومنطلقات علمية وفنية سليمة، وتكون بعيدة عن الاجتهادات الفردية غير الدقيقة وغير المتخصصة والتي تؤدي في الغالب الى اضرار وآثار سلبية جسيمة.

- **تحرير المشاهد من أغلال التقليد الأعمى للأفكار المدمرة والمستوردة**، واتاحة الفرصة لكل الأعمال العالمية السليمة وذات المستوى والثمار الطيبة في مختلف مجالات المعرفة والتثقيف كما في مجال الترفيه والكوميديا، ويطرح ذلك مبدأ الانتقائية بناء لمعايير تقوم على تحليل متعمق للمادة المستوردة على صعد قيمتها الفنية والاعلامية والتوجيهية الظاهرة منها والضمنية.

كما يتضمن ذلك الافادة من كل التقنيات الاعلامية المتوافرة للتحرر من النقل الحرفي وتكييف المادة الاعلامية لواقعنا واحتياجات المشاهد عندنا (سواء أكان طفلا أم راشدا).

يضاف إلى هذه المعايير مجموعة أخرى من أبرزها :

- **وضع النشاط الإعلامي وبرامجه، ضمن منظور شمولي يحقق التكامل بين مختلف أبعاد عملية التنشئة** (المعرفة ـ الإنتماء ـ الحاجات العاطفية ـ الترويح). كما ينسق

جهوده ويكاملها مع جهود بقية الوسائط في المدرسة والأسرة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية. فالاعلام المستورد يتميز بأنه يأتينا ضمن خطة متكاملة، ويتعين علينا نحن أن نجابهها بخطة متكاملة بدورنا، ولذلك فإن جهود التنسيق بين مختلف البرامج لتبيان التكامل بين أهدافها يجب أن يشغل مكانة هامة من جهود المسئولين عن الاعلام والعاملين فيه، كما ان التنسيق ضرورة ماسة ما بينه وبين السلطات التربوية والإجتماعية الأخرى، ولا يقتصر التنسيق على مستوى البلد الواحد، بل لا بد للمجتمع العربي في الخليج من عمليات تنسيق وثيقة بين أقطاره، إضافة إلى تعزيز وحدة هذا المجتمع من خلال انسجام أنماط التنشئة فيه، يؤدي هذا التنسيق إلى اغناء الإمكانات الإعلامية إلى حد بعيد حيث تزداد كمية البرامج والمواد القابلة للتبادل والتداول، ويتطلب التنسيق كما الخطة الشاملة الشغل المتأني على تحديد أهداف الاعلام بدقة من ناحية والعمل على الإنسجام بينها وصولا إلى توحيدها محليا وخليجيا من ناحية ثانية.

- **وضع أطر ومعايير ومقاييس لدراسة المادة المستوردة وتحليل مضامينها الظاهرة والخفية ووظائفها المتنوعة** على أن يقوم بذلك فريق من الخبراء في تحليل المضمون على صعد اللغة والتوجيه والوظائف النفسية، وكذلك التحليل الشكلي (اللون والإيقاع والرموز والمناخات)، بذلك نضمن انتقاء مادة تتمشى مع أهداف التنشئة، وإلا فإن المضامين الأبعد عن خدمة احتياجات هذه التنشئة قد تتسلل من خلال أكثر البرامج براءة ظاهريا.

- **ويستتبع ذلك اتخاذ موقف دارس ناقد من الاعلانات** نظرا لتأثر الطفل الكبير بمضامينها الايديولوجية الخفية وقدرتها على توجيه سلوكه وتفضيلاته، ومن الهام جدا الحرص على استبعاد تلك الاعلانات التي تتوسل الطفل واحتياجاته، وكذلك استبعاد تلك التي تغرقه في المثيرات الاستهلاكية لأنها يمكن أن تشكل موقفه من الحياة في نهاية المطاف، ولا بد من التنويه هنا بالجهد الواضح الذي تقوم به على هذا الصعيد العديد من المحطات التليفزيونية في المجتمع العربي الخليجي، حيث هناك فعلا درجة طيبة من الرزانة فيما يقدم من مادة اعلانية.

- **محو الأمية الاعلامية والالتزام بخطة تثقيفية للكبار** تساعدهم على المشاهدة المنمية من ناحية وعلى حسن الانتقاء للبرامج من ناحية ثانية. يتعين على الكبار توجيه الصغار وتدريبهم على كيفية المشاهدة والتعامل مع المادة المعروضة، وتفهم دلالاتها وواقعها، حسب سن كل طفل بالطبع، ويقتضى ذلك تخطيط برامج تثقيفية للأهل لمساعدتهم على كيفية توجيه مشاهدات أولادهم، وعدم ايكال أمرهم إلى الشاشة تفعل فعلها بلا ضوابط، ولا بد من تدعيم عملية التثقيف هذه بتوعية حول أسس التنشئة السليمة جسديا ومعرفيا واجتماعيا وعاطفيا في مختلف مراحل العمر، وتشجيعهم على استرداد دورهم النشط في تنشئة أولادهم.

- **الاهتداء في اختيار البرامج وعرضها بقوانين وديناميات تأثير الصورة** وخصوصا عمليات النمذجة والتشكيل وتنويع الموضوعات والوضعيات وصولا إلى تعميم السلوك المطلوب تنميته.

- **تبقى النقطة الأساس في هذه المعايير على تنوعها هي التعرف على احتياجات الطفل والناشىء في مختلف الوظائف** (المعرفية ـ الإنتمائية ـ العاطفية ـ الجمالية ـ الترويحية) وتغيرها تبعا لمختلف المراحل العمرية، يلي ذلك محاولة وضع برامج أو اختيار تلك الأكثر تلبية لهذه الاحتياجات، فالمطلوب هو الوصول إلى المشاهدة النشطة في المشاركة بكل معنى الكلمة، بذلك وحده يتاح توطيد ركائز التوجيه المطلوب في نفس **الطفل**، من خلال المرور بالقنوات الذاتية التي يفتحها على العالم من حوله.

ثالثاً ـ مواءمة العمليات للاحتياجات:

يقصد بذلك تكييف المادة الاعلامية لاحتياجات الطفل المختلفة التي ترتبط بالمشاهدة وتحدد التفاعل معها، تشكل هذه المسألة لب نجاح الاستراتيجية الاعلامية وتحقيق أهدافها من خلال البرامج، وهي القضية الأساس التي حاولت هذه الدراسة عرضها والدفاع عنها في مختلف أجزائها، حتى نوصل إلى الطفل ما نرغب أن يتمثله لا بد لنا من تقديم المادة التي تعالج الموضوعات التي يحتاجها.

لن نعرض في هذا العنوان برنامجا شاملا وتفصيليا لهذه المواءمة، فذلك يحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها، ينفذها فريق كامل الاختصاصات وتستند إلى توافق على

احتياجات الطفولة في المجتمع العربي الخليجي قائم على مسح ميداني. سيقتصر الأمر في هذا المقام على طرح أفكار تمثل تدليلا على ما يمكن وضعه من خطط، ونتناول بالتتابع الأبعاد المختلفة لاحتياجات الطفل والناشيء كي نمثل لما يمكن عمله على صعيد المادة الاعلامية التي تجيب عليها، ولا بد قبلا من التذكير بأن الحديث عن المراحل العمرية واحتياجاتها وخصائصها يبقى على مستوى المتعارف عليه، ولا يقوم على ضبط علمي لن يتوفر إلا بالدراسة المسحية للطفولة.

١ ـ الحاجات المعرفية والاعلام:

انها الأكثر تلبية على صعيد المادة الإعلامية وهي تحظى بأعلى درجة من التوافق في الرأي والتدبير بين الاختصاصيين.

هناك توافق على الحاجات المعرفية للطفل والناشيء في مختلف فئاتهما العمرية ساعدت على بلورتها المناهج المخصصة للتربية والتعليم من مرحلة رياض الأطفال (٣ ـ ٦ سنوات) إلى مرحلة المراهقة والشباب. فالخصائص المعرفية لمرحلة الروضة (٣ ـ ٦ سنوات) والتي يطلق عليها اسم الطفولة الثانية، وكذلك خصائص كل من الطفولة الثالثة (المرحلة الابتدائية من ٦ ــ ١١) ومرحلة البلوغ والمراهقة أصبحت معروفة تماما ولا مبرر لتكرارها.

والواقع أن المادة الاعلامية على الصعيد المعرفي هي التي تطرح أقل الاشكالات، فهي حاليا من الغنى والتنوع والشمول والتجدد والتطور بما يلبي الاحتياجات عموما، خصوصا المادة التربوية من تعلم مهارات معرفية أساسية، وأفلام تعليمية ووثائقية مشغولة بشكل جيد عن عالم الحيوان والطير والبحار والطبيعة عموما في مختلف ظواهرها، وكذلك عالم الصناعة والتكنولوجيا، وثقافات الشعوب وخصائصها، ويتيح تطور تقنيات الصورة زيادة اتقان اخراجها وعرضها على الدوام.

كل المطلوب هو الاكثار منها، ولكن بجرعات مدروسة، ومن منظور التنويع في البرامج حتى لا يدخل الملل إلى نفس الطفل.

نشير فقط إلى ضرورة مراعاة قدرة الطفل على التركيز والمتابعة في مراحل العمر المختلفة، أو ما أطلق عليه تعبير (مدى الانتباه)(٧٠) فعلى صعيد الرسوم المتحركة والأفلام الوثائقية تتفاوت القدرة على الانتباه من أقل من ١٥ دقيقة لما قبل ست سنوات، وأقل من ٣٠ دقيقة لما بين ٦ و١١ سنة و٣٠ دقيقة فما فوق لما بعد ذلك.

أما في العروض التعليمية فيتفاوت مدى الانتباه ما بين ٥ و١٠ دقائق لعمر سبع سنوات فما دون، وما بين ١٠ و١٥ دقيقة لعمر ٨ ـ ١١ سنة، و٢٠ ـ ٢٥ دقيقة لما بعد ذلك وصولا إلى مرحلة الثانوي، وكلما صغر السن احتاج الأمر إلى مزيد من سرعة الايقاع.

ومن المعروف كذلك ان المادة المعرفية يجب أن تبدأ من المحسوس (**المصور بالشكل والحركة والايقاع واللون**) **والمجسد في كائنات مألوفة من حيوان وحشرات وطير، أو المقدم على شكل رسوم متحركة**، فالمعرفة تتم هنا من خلال تمثل السلوك والخصائص الشكلية لهذه الكائنات، ولابد أن تكون أكثر ألفة وقربا من عالم الطفل المعاش كلما صغر السن، وتتدرج القدرة على التعلم في اتجاه فهم العلاقات والأسباب والنتائج والخصائص، وصولا إلى التجريد الذي لايظهر إلا مع البلوغ، عندها يمكن تقديم التفسيرات النظرية للظواهر والقوانين التي تحكمها، اذن هناك تدرج من عالم الحيوان إلى عالم التكنولوجيا والحياة وتدرج من التعرف إلى البحث عن الخصائص إلى تفهم القوانين الحاكمة للظواهر.

ذلك كله معروف ولا جديد فيه، كما ان مادته متوافرة، ما يجدر بنا الالتفات إليه مما لا يحظى بنصيبه المستحق على الصعيد المعرفي، هو التعرف على الذات والجسد سواء في مجال الصحة الجسمية أو الصحة النفسية، هناك الكثير من التساؤلات التي تشغل الطفل ويبحث دائبا لايجاد اجابات عليها يتعلق أهمها بهويته الجسدية وبوظائف أعضائه، وبأسرار الحياة والموت والميلاد وعلاقات الآباء بالأبناء، ان المعرفة السليمة حيوية للطفل في هذا المضمار، أما صدها فلن يؤدي إلى الغائها، بل قد يؤدي إلى الحصول على تفسيرات خاطئة، وإذا حدث تشدد مفرط في هذا الصدد

---

(٧٠) د. منى الحديدي وعبدالمنعم الأشنيهي، **سينما الأطفال في الوطن العربي بين الواقع والتطلعات**، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة ١٩٩٠م.

من قبل المحيط، فقد يقود ذلك إلى صد الحشرية المعرفية ذاتها، مع كل انعكاساتها السلبية على العملية التعليمية، لابد من تفكير باشباع الحاجات المعرفية للطفل في هذا المضمار، وهناك مادة اعلامية جيدة وان تكن محدودة يحسن البحث عنها والتخطيط لعرضها بما يتناسب مع مختلف الأعمار وما تتصف به من خصائص نمو، وما يرافقها من تساؤلات، ولو تم هذا فيتحقق اضافة إلى الهدف المعرفي وفتح الشهية المعرفية للطفل هدف آخر لا يقل عنه أهمية يرتبط بصحته النفسية.

٢ ـ الحاجات العاطفية والإعلام:

تطرح على هذا الصعيد قضية الصحة النفسية ودور المادة الاعلامية فيها، وهي المسألة التي تظل ضمن دائرة التجاهل عادة في البرامج الاعلامية العربية رغم ما تتصف به من أهمية. ولايقصد بالحديث في هذا المقام انتقاء المادة الاعلامية التي لا تشكل أذى نفسيا للطفل من مثل حالات العنف الصارخ والمشاهد المؤذية التي تصدم مشاعره، فهذه من بديهيات الأمور، انما يقصد بها تلك البرامج التي تقدم للطفل الفرصة من خلال أبطالها ومادتها الدرامية للشغل على مشكلاته وأزماته النفسية المرافقة لمختلف مراحل النمو بالضرورة والتي تتضمنها تحديات الحياة وأحوالها. فالطفل المعافى نفسيا ـ كما رأينا ـ يشتغل على أزماته ويحاول تصفيتها واستيعابها بشكل عفوي ودائم في لعبه، ورسوماته، وما يقرأ من قصص وما يشاهد من برامج، ولا يكون هذا الشغل عقلانيا واعيا، بل هو يتم من خلال أنشطة تبدو انها لهو وعبث أو استمتاع أو حتى معرفة.

وتكمن أهمية هذا البعد في انه يشكل عنصراً أساسياً في تحديد اهتمامات الطفل بالمادة الاعلامية وموقفه منها وأسلوب تفاعله معها، انه يشكل أساسا رئيسيا للانتقاء والتجاوب. فإذا تجاوب الطفل مع مادة اعلامية من النوع الذي يساعده على شغل مآزمه، فانه سيتأثر لا محالة بما تتضمنه هذه المادة من أبعاد توجيهية صريحة أو خفية ويتمثلها نظراً لاقترانها بالأبعاد الحميمة من ذاته، ذلك ما يقوم به الاعلام المستورد جيدا، وتلعب القصص الشعبية والخرافية المحلية أو المترجمة نفس الدور بشكل مميز رغم قيمتها التوجيهية السلبية.

منذ بداية حياته تطرح على الطفل سلسلة من التحديات الداخلية : الفطام ـ ميلاد أخ منافس ـ أسرار العلاقة بين الوالدين . الهوية الذاتية والهوية الجنسية ـ التعامل مع نوازع العدوان والحقد والغيرة التي تنتابه تجاه أي تفضيل بالمعاملة ـ النبذ والاهمال ـ الخوف من فقدان الوالدين أو أحدهما ـ القلق الذاتي المصاحب للنوازع العدوانية ـ الخوف من انتقام الوالدين والكبار نتيجة لهذه النوازع ـ مخاوف متنوعة تجاه أخطار العالم الخارجي : الخوف من الكائنات المهددة على اختلافها الواقعية منها والخرافية ـ ردود فعله تجاه عمليات تخويفه وتأثيمه من قبل الكبار ـ الخوف من التعرض للأخطار نظرا للفارق الكبير بين قوى المحيط وبين امكاناته الذاتية ـ الخوف من أن يترك وحيدا بدون القدرة على الدفاع عن نفسه ـ المآزم الأسرية المختلفة من صراع بين الوالدين أو غياب أو سفر أو مرض (وكلها يفسرها الطفل بشكل أنوي حيث يردها إلى أسباب هو مسئول عنها : لقد سافروا أو غابوا أو افترقوا أو توفى أحدهم لانه لايحبه أو لأنه يريد أن يعاقبه على اثم أو غلطة وهمية ارتكبها) . وبعد ذلك تأتي مع التقدم في النمو الحاجة إلى تغليب مبدأ الواقع على مبدأ اللذة والتعامل مع حياته الجنسية الناشئة والتي تثير الكثير من الانفعالات المتضاربة والمخاوف ، ويأتي قبلا بعد السادسة الشغل على أزمة الاستقلال عن الأهل وتكوين كيان قائم بذاته والخروج إلى عالم المدينة ، وقد يعترضه في هذا مواقف الأهل المفرطة في الحماية أو الزجر أو الاهمال مما يعرقل اجتيازه لاختبارات الحياة الذاتية ، كما يأتي بعدها البحث عن الأبطال والبطولات على اختلافها وتمثلها وصولا إلى تعزيز ثقته بنفسه وبقدراته الجسدية والعقلية والشعور بالحصانة والأمان .

كلها معارك ذاتية يخوضها الطفل المعافى (فما بالك بذلك الذي يعاني من أزمات نابعة من المحيط أو من أوضاع تربوية أو جسدية خاصة من مثل العاهات وأوجه القصور على أنواعها) .

هناك وسائط كثيرة يشتغل الطفل مآزمه من خلالها أبرزها ـ كما ذكر أعلاه ـ اللعب والرسم والقصص والمسرح ، والمادة الاعلامية التي بدأت تأخذ وزنا متزايدا على حساب ما عداها ، وهو ما يهمنا في هذا المقام .

تلعب الرسوم المتحركة دورا بارزا على صعيد شغل المآزم النفسية قبل سن الثامنة. ففي هذه المرحلة العمرية يتوسل الطفل الحيوان والطير (أو حتى حشرة معينة كالنحلة). ويتخذ منها أبطالا يشتغل من خلال التماهي بهم مآزمه. ان البطل (الحيوان أو الطير المألوفين عموما) في سلوكه ومغامراته ومتاعبه ومآزمه، يمثله هو ويجسد له حياته الذاتية، تماما كما يلعب المسرح لدى الكبار دور التفريج عن معاناة الحضور من خلال تمثلهم للمأساة أو الملهاة التي تلعب على الخشبة، يهتم الطفل اذن ببطله وسلوك هذا البطل ومصيره خصوصا أنه (أي البطل) يلعب عدة أنواع من الدراما خلال مختلف حلقات مسلسل معين، وكل دراما تمثل موقفا يجسد بعدا أو أكثر من أبعاد حياة الطفل العاطفية ومآزمه النفسية، من خلال تنويع الموضوع والاثارة المصاحبة للمغامرة والخروج المنتصر منها أو من المأزق يحاول الطفل استيعاب قضاياه الوجدانية، ومن هنا مدى اهتمامه بهذه المسلسلات وانشداده إليها. وتزداد قيمتها النفسية لأنها تساعد الطفل على الانتقال الدائم ما بين الواقع والخيال، ما بين مقاربة الأزمة (وما تثيره من قلق) وبين الابتعاد عنها (لأنها لم تكن سوى لعبة، أو فيلما وليست حقيقة). من خلال هذا التذبذب ما بين الواقع والخيال يتاح للطفل هامش من الحرية في درجة الانغماس في الموقف، مع حرية الخروج منه إذا وصل قلقه إلى درجة أصبح يحمل معه تهديدا لتوازن الطفل، وليس القلق وحده ومجابهة الخطر هي موضوع اللعب ما بين الواقع والخيال، بل أيضا الرغبات والشهوات غير المقبولة اجتماعيا أو أخلاقيا أو تلك التي يعاقب عليها الوالدان (من مثل النوايا العدوانية المفرطة تجاه مولود جديد منافس).

هنا أيضا ينغمس الطفل في المشاهدة أو اللعبة ويعبر جزئيا عن نواياه غير المقبولة، الا أنه يخرج من هذا التجرؤ بدون أضرار لأن الأمر كله كان لعبة أو خيالا.

الطفل يحمّل أبطاله من الحيوانات كل قضاياه النفسية، ومن هنا صلته الحميمة بهم، انهم مادة طيّعة تتكيف مع احتياجاته المتنوعة، ثم هو يستطيع أن يسقط عليها الأمر كله ملصقا بها هذه النوايا أو المخاوف ومتنكرا لها في ذاته: ان البطل هو المتمرد أو السيء السلوك، أو الذي يخرق الأوامر أو الذي يؤذي، أو الذي يخاطر وليس هو...

من خلال أواليات التماهي (التوحيد ما بين بطل المسلسل والطفل) والاسقاط (الصاق النوايا بالبطل وانكارها في الذات) يتم تجسيد هذه المآزم وتتم مسرحتها وبالتالي الشغل عليها من خلال التحرك ما بين الواقع والخيال، ويضاف إلى ذلك أوالية الانشطار العاطفي فهو يتعامل مع أبطال طيبين وأبطال شريرين وكلاهما ضروري له، يجد ذاته في التماهي مع الأبطال الطيبين المحبوبين، وحتى أنه يبرىء هذه الذات، ويسقط كل نواياه العدوانية ونزعاته الشريرة على الأبطال السيئين: الغول ـ الجنية ـ الحيوان المؤذي ـ اللص ـ . . انه يحمّلهم كل أوزاره الذاتية ويشن الحرب عليهم (بغية التنكر لها في ذاته) من خلال التحالف مع الأبطال الطيبين الذين يدخلون في صراع معهم عادة، وهكذا يكسب من الناحيتين : تعزيز جوانبه الطيبة، والتخلص من نواياه الشريرة بتحميل أوزارها للأبطال الأشرار، ويخرج من كل ذلك منتصراً من خلال انتصار بطله الطيب على قوى الشر التي يحاربها.

ويضاف إلى ذلك كله بالطبع أوالية قلب الأدوار، يتماهى الطفل مع بطله الصغير المحبوب الضعيف جسديا ولكنه واسع الحيلة والذي يقلب الموقف لصالحه في معركته مع الحيوان الشرير الذي يهدد بابتلاعه أو سحقه، بهذا يطمئن الطفل نفسيا إلى أنه هو أيضا قادر على مجابهة أخطار العالم الخارجي التي تتجاوز قوته الذاتية.

كل هذه العمليات تنشط في مختلف مسلسلات الرسوم المتحركة بأبطالها المشهورين، وهو ما يفسر لنا ولع الطفل بها وشدة تأثره بما تحمله من مضامين ايديولوجية خفية وراء مظهرها المرح.

وحين يتقدم في السن تبرز لدى الطفل بعد الثامنة اهتمامات بالأبطال الفعليين الإنسانيين سواء أكانوا أطفالا أم أبطالا مغامرين يتعرضون للأخطار، ويبحث الطفل عن هذه المغامرات ويتعلق بها (مسلسلات السندباد، أفلام المآسي . .) هنا أيضا يشتغل الطفل على مجابهة تهديدات عالمه والتغلب عليها، وذلك سر ولعه بأفلام الإثارة والتخويف شريطة انتصار البطل في النهاية، وكذلك ولعه بالمآسي التي يكون الأطفال أبطالها، ولكنهم أيضا يخرجون منتصرين من المحن، على أن المغامرات تبقى الأكثر شدّا له، خصوصا مغامرات ارتكاب الأخطار والأسفار إلى عوالم بعيدة مع عودة مظفرة، بذلك يشتغل الطفل والفتى على مسألة استقلاله النفسي عن والديه

وتصفية علاقة الاتكالية المفرطة عليهما، انه يمر باختبار الأهلية : ركوب الأخطار والانتصار عليها، العودة المظفرة هي تغيير للوجود وقطع الصلة مع الطفولة وبداية عالم جديد فيه الاستقلال والثقة.

هذا البعد الذي اقتصر الحديث فيه على مجرد اشارات مقتضبة يشكل المدخل الفعلي للنفاذ إلى عالم الطفل، وإذا أردنا أن نمرر له مادة توجيهية ونحقق الهدف فعلا منها، فهذه القناة تمثل الوسيلة الأضمن، وشأن المعرفة في ذلك قد لا يختلف عن شأن التوجيه، فالطفل يتشوق إلى المعارف التي ترتبط بحاجاته العاطفية والاجابات عليها، في هذه الحالة يزداد نصيب المعرفة من الرسوخ، وهو أمر أصبح علماء التربية يعرفونه جيدا ويتوسلونه فيما يقدمون من مناهج تعليمية للطفل، طبعا هناك حاجات أخرى تحققها هذه المناهج من مثل حاجته الجمالية والترويحية والحاجة إلى الانتماء.

يمثل البحث المنهجي لهذا البعد وتحديد خصائصه واحتياجاته العمرية عند الطفل العربي الخليجي وتكييف المادة الاعلامية المنتجة محليا أو انتقاء تلك المستوردة والتي تلبي هذه الاحتياجات نقلة نوعية فعلية في الاعلام.

٣ ـ حاجات الإنتماء والإعلام :

سبق عرض حاجات الإنتماء عند الطفل والناشىء (فصل التنشئة)، ويتلخص الأمر في أن هذا الانتماء يشكل حاجة أساسية لديهما، منذ تقديم الذات من خلال اسم شخصي ومرجعية والدية، إلى الانتماء إلى منزل وحي وشارع ومدينة ووطن ودين وقومية، ويضاف إلى هذا البعد المكاني بعد زماني يتمثل في الانتماء إلى تاريخ ووقائع وأحداث وبطولات، وانتماء إلى ثقافة تتمثل في اللغة والشكل والزخرف واللون والنغم والإيقاع، كما تتمثل بخصائص تكنولوجية (لعب، وحرب، وممارسات وأنشطة) وخصائص تراثية من مناسبات وأعياد. كلها تشكل أبعاد الانتماء ويتدرج الطفل فيها من القريب إلى البعيد، ومن المكان إلى الزمان، ومن السلوك الممارس والمحسوسات المجسدة إلى الرموز والقيم والتوجهات التي تشكل الأفق الوجودي.

ويتبلور ذلك كله في هوية ذاتية ـ اجتماعية ـ حضارية، ويضاف إلى الانتماء الحاجة إلى التوجيه والمرجعيات الثابتة التي تشكل أطراً تنظم حياة الطفل ومعالم هادية لسلوكه وتوجهاته، هو أيضا يبحث عن التوجيه (شريطة أن يتلاءم مع خصائصه العمرية واحتياجاتها).

يشكل كل من الانتماء والتوجيه المساق الرئيسي في عملية التنشئة حتى أنه ليعطى في العالم العربي الوزن الأكبر على حساب ما عداه وهنا بالضبط تكمن نقاط الوهن في هذه المجهودات، أنها تمارس من قبل الكبار كمسائل قائمة بذاتها بمعزل عن احتياجات الطفل الأخرى، ويكمن القصور الآخر فيما يتوافق المختصون بالتنشئة على انتقاده من ميل إلى توسل أساليب مباشرة وفوقية : وعظ وتلقين وتأثيم واتباع واخضاع واطناب.

يتطلب تعزيز الانتماء وتفعيل التوجيه توسل مداخل مخالفة وأساليب نشطة على صعيد الاعلام مما يحتاج بدوره إلى خطة قائمة بذاتها، تقتصر هذه الدراسة على الاشارة إلى بعض المعالم.

تمثل الرسوم المتحركة أداة فعّالة لتعزيز الانتماء وغرس القيم السلوكية المرغوبة، فمن خلال الأبطال ومغامراتهم الذين يتعلق بهم الطفل يمكن تمرير ما نشاء من قيم سلوكية في ممارساتهم وتفاعلهم ومغامراتهم، كما اننا يمكن أن نسبغ عليهم الكثير من الخصائص والرموز الثقافية، وبالذات أبعاد الشكل واللون والزخرف والاطار الطبيعي والجغرافي والاجتماعي، وليس من باب الطموح أو المغالاة التفكير بتصميم اطر حيوية عربية ـ اسلامية في هذه المسلسلات : نوع الحيوانات المختارة كأبطال والاطار العام الذي يتحركون فيه، كذلك ليس من المغالاة في شيء التفكير ببناء أبطال عرب في الرسوم المتحركة مأخوذة من قصص التراث، تقوم هذه الأبطال بتقديم المادة التليفزيونية التي تشبع الحاجات العاطفية التي تقدم بيانها وفي نفس الوقت تقدم مقومات الانتماء وتجسد القيم المراد ترسها في سلوكها.

ولا بد من ابتداع الصيغ والأفكار على هذا الصعيد، فمثلا يمكن تقديم المواعظ الدينية والقيم العربية الاسلامية من خلال حبكة قصصية مسلية وممتعة، وبشكل ضمني، ذلك أن الطفل لايتمثل الموعظة، بل هو يتمثل البطل في خصائصه وصفاته

وتصرفاته، يتعين اذن ترجمة القيم العربية ـ الاسلامية إلى سلوكات من ضمن مغامرة يقوم بها البطل ويستوعبها الطفل بشكل عفوي بدون حاجة إلى تلقين ووعظ وشروحات نظرية لا تعني له شيئا في الواقع.

التربية الدينية في كثير من معطياتها يمكن أن تحول إلى قصص على هذا الغرار، ولا بد هنا من تخليص الموضوعات الدينية من الحشد والشروحات والتفاصيل التي تشتت انتباه الطفل وتدخل الملل إلى نفسه، نماذج الأبطال يجب أن تكون قوية ومؤثرة ونماذج السلوكات متبلورة ومجسدة تكمن قوتها في بساطتها ووضوحها وتفعيلها عمليا، ونصل من خلال هذه النمذجة للبطل وسلوكه إلى هوية متماسكة تستوعب كاملة.

أما حين يتقدم الطفل في العمر فان حاجته إلى البطولات التاريخية تصبح ذات وزن بينما تتراجع حاجته إلى بطولات خيالية (رسوم متحركة)، هنا أيضا تتضمن الحضارة العربية ـ الاسلامية معينا لا ينضب من البطولات والوقائع الكبرى والأيام والقيادات من كل نوع، ولابد أن يتبع نفس المبدأ في تقديم هذه البطولات والوقائع: النصوع، والقوة والتماسك والبساطة والبعد عن الاستطراد والحشو، ذلك أنه كلما قوي النموذج وزادت جاذبيته أمكن تمثله بدرجة أكبر من العمق.

وهنا تحديدا يلعب المناخ الثقافي العام: كعالم الشكل واللون والإيقاع دوراً مثل دور الطبيعة بخصائصها في خلق جو من المؤثرات الحضارية، وكلما ازدادت كثافة هذه المؤثرات ترسخت مشاعر الانتماء وتبلورت الهوية، وتتعاظم المؤثرات حين يرتبط هذا الجو بالبطل موضوع تعلق الطفل والناشىء، والدراما أو المغامرة التي يقوم بها هذا البطل وتحمل الجواب على حاجات الطفل.

تبلغ قوة الرسالة الاعلامية أوجها إذا استطاعت أن تحيط بأكبر قدر من مقومات التنشئة من ناحية احتياجات الطفل، أي جمع المعرفة مع الحاجات العاطفية وحاجات الانتماء والمرجعية والحاجة الجمالية في جو من المرح والمتعة والانطلاق، هنا لا يشعر الطفل بالانتماء فقط بل يشعر بالانتصار مما يحول الانتماء إلى فخر، ان الأعمال الاعلامية المميزة تتعامل عادة مع مختلف احتياجات الطفل ولو اختلفت المقادير من موضوع إلى آخر: يتعلم ويحلم ويتمتع ويشعر بالانتماء.

يتطلب انجاز هذا الأمر العمل من خلال فريق متكامل الاختصاصات : الفني التقني والمخرج، والكاتب، بالاستعانة بخبير الصحة النفسية وخبير النمو وخبير الاعلام، وخبير التاريخ، وخبير التربية الدينية، يعملون سويا لتصميم وانتاج العمل الاعلامي متعدد الوظائف، ذلك هو حال ما يفد إلى وسائل اعلامنا من مادة مستوردة، وذلك هو الجواب الوحيد لمجابهتها وصولا إلى الأصالة المستقبلية.

وتترابط كل من الحاجات المعرفية والعاطفية والانتماء فيما بينها. كما تتكامل تأثيراتها ما بين الاعلام وبقية وسائط ثقافة الطفل وتنشئته. ولهذا لابد من بذل جهد جاد ومنظم وعلمي للاهتمام بهذه الوسائط الأخرى وأبرزها حدائق وقرى الاطفال، ومسرح الأطفال، ومسرح العرائس. ذلك أن حدائق وقرى الأطفال المزودة بالمواد الاعلامية المدروسة والملبية لاحتياجات الطفل تساعده ولاشك على تعلم قيمة الأنظمة والقوانين وتحد من طغيان الانانيات الفردية. كما تبث في نفسه مبدأ الولاء والانتماء وروحه. إضافة الى ما لمسارح الاطفال ومسارح العرائس من دور هام وفاعل في تعزيز الانتماء بشكل محبب الى ذات الطفل من خلال شغل مآزمه النفسية وتلبية احتياجاته العاطفية والفنية والترويحية في آن معاً.

ويتطلب ذلك العمل على انتشار مسارح الأطفال ومسارح الدمى في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وسواها من مؤسسات التنشئة على أوسع نطاق.

٤ ـ الحاجات الانمائية والاعلام:

ان تكامل عملية التنشئة، تجعل من الضروري التبكير في الاهتمام بحاجات الطفل النمائية منذ سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية. ذلك ان هذه السنوات ليست وقتاً ضائعاً، بل هي كما أثبتت الأبحاث الحديثة سنوات غنية جداً بالنشاط المعرفي والوجداني عند الطفل. ويشكل الاهتمام بها أحد التوجهات الكبرى للتربية المستقبلية.

من هنا لابد من العمل على نشر رياض الأطفال ووضع الخطط لتعميمها بما هي الأداة الاساسية للاهتمام بالطفولة المبكرة. ولابد من دعم هذه الرياض من خلال

تزويدها بالخبرات الفنية وتجهيزها بالمواد التربوية واعطاء عناية خاصة للافلام التعليمية والوثائقية المتناسبة مع هذه المرحلة العمرية.

لاشك أن ترجمة التكامل للاحتياجات المتنوعة للطفل العربي الخليجي في عملية التنشئة الاجتماعية، تتطلب جهوداً من العمل المنظم والمتنوع في الاختصاصات في المجالات الفنية والكتابية والاخراجية والاستعانة بخبراء متخصصين في مجالات الصحة والاعلام والتاريخ والجغرافيا والدين واللغة وغيرها، وذلك من أجل إعداد وإخراج المواد الاعلامية في صورة أعمال متكاملة الأبعاد والوجوه، وشاملة لكافة حاجات الطفل النمائية بأبعادها المعرفية والعاطفية والاعلامية والثقافية والارتباط بانتمائه الاسلامي العربي الخليجي.

رابعاً ـ المستلزمات :

يستدعي تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية وقفة جادة فعلا على صعيد الاعلام في المجتمع العربي الخليجي، تتمثل أولى خطواتها في بلورة رؤية واضحة لما نريد وكيف نريده ومتى ولماذا، ويستدعى تجاوز الاجتهاد وتدبير الحال من خلال المبادرات الفردية، ذلك أن التنشئة، كما الثقافة ضمن اطار الاعلام وخارجه وصولا إلى مختلف الوسائط أصبحت تشكل الركن الرابع من الاستراتيجية الوطنية في الدول المتقدمة بالتوازي مع الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية(٧١)، توضع لهذه الاستراتيجية الخطط وترصد لها الاعتمادات المالية الضخمة وتوظف لها الموارد البشرية ذات الاختصاص، الحفاظ على المصالح الوطنية العليا في هذه البلدان، تماما كما تعزيز النفوذ وبسط السيطرة خارجيا أصبح يتم من خلال الاستراتيجية الثقافية ـ الاعلامية، فهناك اضافة إلى السيطرة على الموارد صراع للسيطرة على الأذهان والأفئدة، فإضافة إلى صناعة المعلومات والاعلام هناك حاليا صناعة الرأي، وحين تصنع رأيا محابيا ومواتيا لمصالحك وخياراتك ضمنت تحقيق أهدافك، وفي حمأة هذا الصراع الاعلامي والتنافس على صناعة الرأي، تحدد قطاعات النشاط والتدخل، كما تحدد الجماعات المستهدفة، أما قطاعات التدخل فهي التربية والثقافة والتأهيل

(٧١) IVE Eudes, **La Conquete des esprits,** Maspero, Paris, 1982

والتدريب والاعلام ودراسة أوضاع المجتمع وتفاعلاته وتياراته. وأما الجماعات ـ الهدف [٧٢] فهي الطفولة والشبيبة والأسرة تحديدا.

وهكذا فتنفيذ استراتيجية اعلامية في التنشئة لم يعد ترفا أو هدفا ثانويا يرصد له ما يتوفر من بقية أبواب الانفاق الأكثر حيوية، انه بصدد القفز إلى المقدمة كي يدخل ضمن أبواب الانفاق الحيوية، فالشاشة كما الساحة الثقافية لا تحتمل الفراغ، فاما أن نملأها بما يحقق استراتيجياتنا وخياراتنا واما ستملأ من قبل الغير ولحسابه.

نخلص مما تقدم، أنه لم يعد يكفي الاجتهاد والاكتفاء بما يتيسر من موارد وبذل جهود متفرقة (ولو كانت معطاءة فعلا)، الاستراتيجية تحتاج إلى التعامل معها لتوسل المدخل العلمي في التخطيط والعمليات والبرمجة والمتابعة والتقويم وتوفير الموارد المادية والبشرية.

١ ـ التخطيط :

يتعين في وضع الخطط الاعلامية الاجابة على عدة أسئلة :

ـ لماذا ؟ هنا يحدد الهدف العام : أي قضايا في التنشئة نريد أن نغطي، ما هي المهارات والسلوكيات والتوجهات والحاجات التي نريد تلبيتها أو تعزيزها، ويتحول الهدف العام إلى أهداف تشغيلية إلى حاجات أو سلوكات جزئية أو غرس توجهات محددة : خلقية ـ قيمية وطنية ـ أو مهارات. . . الخ، ونجد في الأهداف الموضوعة لبرنامج افتح يا سمسم تمثيلا لذلك[٧٣] : هناك أهداف عشرة في المجالات التالية : المعرفية (تعلم الحروف والأرقام والمقاييس والأشكال والتصنيف)، الصحة العقلية والجسدية (تعرف الأعضاء ووظائفها وسبل النمو والوقاية)، الاجتماعية (الأدوار الاجتماعية، المؤسسات، التفاعل الإجتماعي)، الإقتصادية (طاقة الإنسان، انتاجيته، قيمة رأس المال)، التكنولوجية، العلمية والفكرية (العمليات العقلية وأسلوب التفكير العلمي)، الذوقية (التربية الجمالية)، الإنسانية (تعرف الشعوب وعاداتها والروابط بينها)، القومية (تعرف الوطن

---

(٧٢) المصدر السابق.

(٧٣) ياسر المالح، «التربية والاعلام، وتجربة افتح يا سمسم»، **ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين**، الجزء الثاني، ص٤٣٢ ـ ٤٣٣، مصدر سابق.

العربي، ثـرواته، عـاداته)، الـروحية (معـرفة اللـه، بث الأخلاق الاسلاميـة من خلال النماذج الحية والسلوك والقدوة).

ـ مـاذا؟ بعد تحديد الهدف العام والأهـداف التشغيلية، نترجم ذلك إلى موضـوعات ستقدم في بـرامج على اختلافهـا، هذه الموضـوعات تمثل رسـائل نريـد إيصالها إلى المشاهد ومن خلالها نحقق الأهداف.

ـ من ؟ هنـا نطرح مسألة الجمهـور، فنحدد الفئة العمريـة، والجنس، ونتعرف على الخصائص المختلفة المميزة لهذه الفئات واحتياجاتها.

ـ كيف ؟ هنـا نبحث عن الوسيلة الأفضل لـلاجابة على الاحتيـاجات بما يتمشى مع الخصائص: نوع المادة وأسلوبها وتقنياتها ومؤثراتها المختلفة.

ـ متى ؟ التوقيت وله أهمية كبيرة في تحديد درجـة استقبال الرسالة والتأثر بها، ويجب أن يكـون مـدروسـا بشكل علمي : خـلال أيـام المدرسـة وأثنـاء العطل المختلفـة وخصـوصـا العطـل الكبرى، وتكييف رزنـامـة البرامج ونـوعهـا بما يتمشى مع التـوقيت: مثلا بـرامج خفيفـة خـلال أيام الـدراسـة والامتحـانات (ذات طبيعـة ترويحية)، أو برامج تعليمية تساعد على استدراك بعض المعلومات لبعض فئات من الطـلاب في استعدادهم لـلامتحـانات، بينما تخصص البرامج التي تتطلب جهـوداً فكرية، من مثل البرامج التربوية لأيام العطل الطويلـة نسبيا كوسيلة لتربية مساعدة أو مدعمة.

ـ ارجـاع الأثـر أو استقصـاء مـردود هـذه البرامـج : لا يكفي أن نبث برامـج ذات أهداف محددة، بل لابـد من التأكد أن هذه البرامج قـد أوصلت الرسالة المطلـوبة، ولا يكفي ذلك بدوره، بل لابد من التأكد بأن الرسـالة قد تم استقبالها، ولا بد من السير أبعد منه وصولا إلى معرفة مدى استيعابها، وأخيرا لا بد من التحقق من مدى التأثر بها.

فالرسالة أو الرسائل الموجهة في برنامج معين قد تصل إلى الجمهور المستهدف الا أنه لا يتم استيعابها، ولا تحدث بالتالي التوجيه المطلـوب، مما يجعلها قاصرة عن تحديد هدفها.

تتطلب الخطة أو الخطط هذه مجموعة عمليات مصاحبة أبرزها ما يلي :

٢ ـ التنسيق :

هنا لابد من التنسيق بين أهداف مختلف البرامج، فلا جدوى منها ولا هي بمحققة غاياتها في التنشئة إذا لم تتكامل أهدافها، بمعنى أن يمثل كل منها انجازا لهدف وسدا لحاجة، وإذا لم يتم التنسيق بين البرامج تعرضنا لا محالة للفسيفسائية الاعلامية التي تشكل المدخل إلى تشويش الأذهان وبلبلة الانتماء واضطراب التوجيه أو تضاربه، ويضاف إلى التنسيق بين البرامج اطار آخر أوسع هو التنسيق بين الاعلام والوسائط الثقافية الأخرى : المجلات، الجرائد، أدب الأطفال، المسارح، المعارض، المناسبات، المتاحف، المدرسة وأنشطتها الرسمية وغير الرسمية ونظمها في التفاعل والعلاقة والأسرة وأنماط التنشئة والعلاقات السائدة فيها، أما الحلقة الأخيرة من التنسيق فتكون على صعيد المجتمع العربي الخليجي ككل : تبادل الخبرات والبرامج، تدعيم متبادل، توحيد الرؤية والأهداف، تثمير الإمكانات، ولا تكمن ضرورة هذا التنسيق في بعده الوطني الانتمائي فقط (بناء هوية متماسكة)، بل ان له أبعادا اقتصادية أيضا نظرا لندرة الموارد البشرية المؤهلة من ناحية وللكلفة العالية جدا لانتاج برامج ذات قيمة توجيهية عربية اسلامية تلبي احتياجات أبناء المجتمع العربي الخليجي، وبالمناسبة فان اغضاء الطرف عن هذا التنسيق واللجوء إلى الحلول السهلة من خلال استيراد البرامج الأجنبية (المتوافرة بكثرة وذات الكلفة المحدودة) يمثل معوقا لا يجوز التهاون بشأنه على صعيد التنشئة الوطنية.

٣ ـ المتابعة :

وهي تشكل جزءا مكملا من أي خطة، هنا يتعين علينا مرافقة عمليات الانتاج والاعداد والتنفيذ وبشكل دوري للتحقق من مدى تقدم العمل على تحقيق البرامج لأهدافها، وتتم المتابعة على ثلاث مراحل : مرحلة الاعداد والانتاج أو الاختيار كي يتم التأكد من ملاءمة المادة للأهداف الموضوعة، فإذا تم ذلك يمكن الانطلاق إلى خطوة التنفيذ، أما إذا اتضح ان المادة تجانب الهدف أولا تغطيه بالمستوى المطلوب في الخطة، فانه يمكن مراجعة هذه المادة واجراء التعديلات عليها قبل التنفيذ، مما يوفر الجهد والموارد، ويجنب الفشل، المرحلة الثانية في المتابعة تقوم خلال التنفيذ، وهنا

يتم التأكد من مطابقة التنفيذ للتخطيط في مختلف عناصره، وتكون المتابعة عملية مستمرة أو تبعا لوتيرة دورية يتفق عليها حسب طبيعة البرنامج، ويحدث التدخل عند بروز مؤشرات انحراف غير مقبول عن الأهداف الموضوعة للبرامج، حيث يتم تصويب المسار : تعديل الاتجاه، زيادة الكثافة أو تخفيفها، تغيير التوقيت، مزج برامج . . الخ، المتابعة المستمرة تضمن تحقيق الهدف اذن، ولا يجوز بالتالي أن نترك الأمر إلى نهايته حيث يصبح تقويم الانحراف صعبا أو مكلفا، ولا بد من الاشارة هنا إلى أن المتابعة تختلف عن الرقابة التي تهدف إلى التفتيش وضبط الأخطاء وحالات القصور للمحاسبة عليها (فهذا شأن آخر)، المتابعة تقوم بوظيفة ضمان تحقيق الأهداف، أما المرحلة الثالثة من المتابعة فهي التي تأخذ شكل التقويم اللاحق للبرامج.

ونشير هنا الى ضرورة حماية ثقافة الطفل العربي الخليجي وتنشئته من خلال التطبيق الجاد لقوانين المطبوعات والنشر والاعلام والتدقيق الفني للمواد المعروضة وبخاصة أشرطة الفيديو والأفلام السينمائية، على أن يشرف على التدقيق متخصصون تربويون واعلاميون وعلماء نفس واختصاصيون في ثقافة الطفل وانتاجها.

٤ ـ التقويـــــم :

هو العملية المكملة للمتابعة، هنا نبحث في مسألة الجدوى : مدى ملاءمة البرامج للأهداف وللتوقيت، ومدى ملاءمة البرامج للكلفة، مدى حسن استخدام الموارد التقنية والفنية والبشرية، طبعا الجدوى الاعلامية (تحقيق أهداف التنشئة) هي الأساس باعتبار أن هذا الاعلام يمثل كلفة تأسيسية انمائية شأنه شأن الصحة والتعليم.

ولا بد في التقويم من معايير محددة كميا وكيفيا وزمنيا تتيح لنا قياس مدى تحقق الأهداف ونوعها بالدقة العلمية الكافية وتدخل كل الأطر العامة وما ورد من معايير ضمنها في هذا الباب.

٥ ـ التدقيـق والاختيـــار :

وهو عملية هامة في تأمين مستلزمات الاعلام الفعّال في التنشئة، ذلك أن المادة

المستوردة في العالم العربي وفي الخليج على الأخص تمثل ما يوازي ٦٠٪ من تغطية ساعات البث أو يزيد، ولابد هنا أيضا من وضع معايير للاختيار والتدقيق ليس فقط في الأبعاد الصريحة للمادة بل في أبعادها الضمنية كذلك، وإذا كانت المسألة يسيرة في الأفلام ذات الطابع العلمي والوثائقي، الا أنها ليست كذلك في بقية أنواع البرامج الترويحية والثقافية والدرامية، وكذلك المسلسلات الشهيرة، وتحديدا أفلام العنف والأفلام البوليسية ولا بد من ايكال هذه المسألة لفريق خبراء يضم اختصاصات متكاملة : اعلامية ـ تقنية ـ تربوية ـ نفسية ـ اجتماعية، ذلك أن الأمر أخطر بما لا يقاس من ايكاله إلى موظف يعمل رقيبا على القضايا السياسية أو الأخلاقية الصريحة على أهميتها.

الأمر الآخر في قضية التدقيق والاختيار يتمثل في ضرورة توسيع مروحة مصادر المادة الاعلامية، هناك ضرورة لكسر الروتين أو العادة أو استسهال الاجراءات مما يوقع الاعلام الوطني في حالة تبعية أو احتكار طوعي، هناك بلاد كثيرة تنتج مادة اعلامية متميزة في أكثر من مجال، وخصوصا على صعيد تغطية احتياجات الطفولة، ويتحقق كسب فعلي إذا قامت الأجهزة المختصة بتنويع المصادر، مما يؤدي إلى اغناء المادة الاعلامية.

٦ ـ الدراسات والأبحاث :

تمثل مكونا هاما من المستلزمات إذا كان لاستراتيجية الاعلام أن تقوم على مقومات راسخة وموثوقة، الاعلام الخليجي حديث النشأة، والطفولة الخليجية، رغم كل الدراسات التي أجريت حولها، لا زالت، شأنها في ذلك شأن الطفولة العربية، غير معروفة الخصائص بما يكفي للجزم، فكل ما يقدم لها وما يعمل بشأنها مبني على الاجتهاد والخبرة والدراسات المحدودة، أو هو مبني على المتعارف عليه من نظريات ومعايير وضعت في الأصل لأطفال من مجتمعات ذات بنى مختلفة، وهكذا فهناك حاجة ماسة طالت المطالبة بها لدراسات حول جمهور الأطفال والناشئة العربي لمعرفة خصائصه واحتياجاته في مختلف فئاته العمرية، وهناك حاجة لدراسات لأنماط المشاهدة عند الأطفال في المجتمع العربي الخليجي ودور العائلة وموقفها من هذه العملية[٧٤]، وهناك ضرورة لدراسة مدى فهم الأطفال العرب للرسائل

(٧٤) د. بهية الجشي، «تأثير التليفزيون على الطفل»، مصدر سابق، ص ٥٣.

التليفـزيونيـة وتفسيرهم لما يشاهـدونـه، مما يجعلنـا أقدر على تقـويم البرامج وحسن تخطيطهـا بناء لمعـرفـة مـوثوقـة بما يجري، وهنـاك حـاجة مـاسـة لـدراسة مضـامين الاعلانات والأفـلام والمسلسلات المستوردة (ذات الطبيعة الإجتماعيـة أو الثقافية أو الكوميديـة أو أفلام الكرتون) نظـراً لاحتوائها على ايديـولوجيات ضمنية تـوجه من خلالها رسـائل غير مباشرة ودون لفظية، وتفلت بـالتالي من الرقـابة، وهناك حـاجة لدراسات الجدوى لمختلف البرامج، وأبحـاث تطوير إستخدام الوسـائط الاعلامية المرئية، وتحديدا كيفية الإفادة القصوى منها في عمليات التنشئة والتربية المساعدة لسد الثغرات التي تعاني منها الأوساط الشعبية على هذا الصعيد.

٧ ـ الإلـــتزام بالخـــبرة الفنيـة :

ويشكل النقطة المحورية في المستلزمات التي بمقدار ما تتم تغطيتها، نضمن تحقيق الاستراتيجية لأهـدافها، فلم يعـد ممكنا الحديث عـن دور فعال ومغطي لـلاعلام في التنشئـة مع البقـاء على حالـة من نقص كبير وخطير في الكفـاءات التي تخطط وتنفـذ وتتابع وتقوم وتبحث الاستقصاء الميداني الذي أجرى على المستوى العربي حول واقع الطفولة، تبين أن كل عمليـات التنشئة من خلال الاعلام لا زالت تتـم خارج الجهد العلمي المختص، التنشئـة كما الاعلام أخطر من أن تـوكلا إلى مبـادرات فرديـة تقوم على الاجتهاد، هناك حاجة لتوسل سياسة فرق العمل المتخصصة التي تضم : كتّاب البرامج ـ كتّاب السينـاريو ـ المخـرجين ـ المنفـذين التقنيين على اختلافهـم (الصوت والصورة والـديكور والشكـل) ـ علماء الاجتماع ـ علماء التربيـة ـ علماء نفـس النمو ـ علماء الصحة النفسيـة ـ علماء الاعـلام. ذلك على كل حال ما تفعلـه الدول المتقـدمة التي تصـدر لنا برامجهـا، فليس هناك شيء متروك للعفـوية، العمل يتكـامل في جميع أبعاده حتى تأتي الرسالة قوية في قدرتها التأثيرية وفعالة في تحقيق أهدافها.

وهنا لابد من فتـح قنوات الابداع لذوي المواهب والقدرات في الكتـابة والتأليف والاعـداد للبرامج والمجلات والصحف الخاصـة بالأطفـال واعطاء الاهتمام الكـافي لاصـدار صحـافة الأطفـال بحيث تكـون مـلائمـة لمستوى نضج الأطفـال وملبيـة لحاجاتهم وتحدياتها.

لا بد من اختيار الكفـاءات الفعلية بعيداً عن الأهواء الذاتيـة، ولا بد من الالتزام الجاد معها على أسس وظيفية، ولا بد من معايير للمتـابعة وتقويم الأداء، ولا بد من برامج للتأهيل والتـدريب، وهو عمومـا محدود الكلفة بالمقارنـة مع مردوده العملي، التدريب والتطويـر الدائمان للكفاءات ضرورة حيوية لمتابعـة التحولات المتسارعة في دنيا الاعلام، وتوفيره ليس بالأمر العسير.

يبقى بالطبع ان هناك ثمنا لا بد أن يدفع لتغطيـة كلفة هذه المستلزمات، وهو ثمن لا بد أن يكون في أساس الموازنات الوطنيـة وليس من فائضها أو على هامشها، فطالما يتعلق الأمر باستراتيجية اعـلامية في التنشئة (تذكر بأنها صناعـة الأصالة المستقبلية)، لابـد من توفير الموارد الماديـة والبشريـة لها شأنها في ذلك شأن أي استراتيجية أخـرى والتي هي في التعريف : توظيف الموارد الوطنية لتحقيق الخيارات الكبرى.

المراجـــــع

أولاً ـ دراسـات ومنشورات المكتـب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية:

١ ـ استكمال دراسة أنماط الخدمات المتاحة للطفل العربي الخليجي وأساليب تطويرها والسلبيات المحيطة بحياته، مناقشة ثانية، البند الثاني من وثائق جدول أعمال الدورة السادسة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية، يناير ١٩٨٤م.

٢ ـ (جوانب من أنشطة الأمانة العامة لمجلس وزراء العمل والشئون الإجتماعية بالدول العربية الخليجية في مجال رعاية الطفولة)، ورقة مقدمة إلى ندوة خبراء تحديد أولويات وأساليب العمل للنهوض بالطفولة خلال عقد التسعينات في منطقة الخليج العربي، ٧ ـ ٩/ ٣/ ١٩٨٩م.

٣ ـ دراسة تأثير وسائل وأجهزة الاعلام الحديثة على التنشئة الإجتماعية في المجتمع العربي الخليجي، تقرير بنتائج أعمال اجتماع خبراء الفريق الفني، المنامة ٦ ـ ٧/ ١١/ ١٩٨٨م.

٤ ـ ظاهرة المربيات الأجنبيات، الأسباب والآثار، اعداد: خلف أحمد خلف، د. حسين الرفاعي، د. بدر عمر العمر، د. هالة العمران، سلسلة الدراسات الإجتماعية والعمالية ـ العدد (١٠)، أغسطس ١٩٨٧م.

٥ ـ القيم والتحولات الإجتماعية المعاصرة، اعداد: خلف أحمد خلف، د. كمال أبو المجد، سلسلة الدراسات الإجتماعية والعمالية ـ العدد (١٦)، أغسطس ١٩٩٠م.

٦ ـ المبادىء العامة لسياسة عربية خليجية مشتركة لرعاية الطفولة، مطبوعات وثائقية ـ العدد (٣) ١٩٨٧م.

٧ ـ ورقة المعلومات الأساسية بشأن الملتقى الخليجي حول رعاية الطفولة ـ مايو ١٩٩٢م.

ثانياً ـ مراجـــع عامـــة :

١ ـ د. أحمد زكي بـــدوي ، معجم مصطلحات العلـوم الإجتماعية، مكتبـة لبنان، بيروت ١٩٨٢م

٢ ـ الأمانـة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربيـة، ومكتب اليونيسف للدول العربية في الخليج، تقرير اجتماع خبراء تحديد أولويات وأساليب العمل للنهوض بـالطفولـة خلال عقـد التسعينات في منطقـة الخليج العربيـة، دبي ٧ ـ ٩ مـارس ١٩٨٩م.

٣ ـ د. بهية الجشي، (تأثير التلفزيون على الطفل)، المؤتمر الاقليمي الخامس للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، البحرين ١٨ ـ ٢١ مارس ١٩٨٩م.

٤ ـ جامعة الامارات العربية المتحـدة بالتعاون مع الونيسف، ندوة الطفولة في مجتمع متغير، العين ٢١ ـ ٢٣ فبراير ١٩٨٨م.

٥ ـ د. جان كرم، التلفزيون والأطفال، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.

٦ ـ جمال الخطيب، تعديل السلوك، عمّان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٨٧م.

٧ ـ د. فـؤاد شاهين، (علم الاجتماع ومفهـوم الثقافة)، مجلـة الفكر العـربي، العدد (١٤)، بيروت ١٩٨٠م.

٨ ـ لابلانـش وبونتـاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة د. مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، طبعة ثانية ١٩٨٧م.

٩ ـ المجلس العـربي للطفـولة والتنميـة، واقع الطفـل في الوطن العـربي، القـاهـرة ١٩٨٩م.

١٠ ـ د. مصطفى حجازي مع مجموعة مـن الاختصاصيين، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالـة، منشورات المجلس القومي للثقافة العربيـة، سلسلة ثقافتنا العربية (٢)، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١١ ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج، ندوة مـاذا يريد التربويون من الاعلاميين، الرياض ١٩٨٦م.

١٢ ـ ممـدوح المبيض وخلـف أحمـد خلف، أهـم ميـول واحتياجـات الأطفال في البحرين، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، دولة البحرين ١٩٨١م.

١٣ ـ المملكـة العربيـة السعوديـة، وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعيـة، الخدمـات

الاجتماعية والتربوية والصحية التي يتمتع بها أطفال المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩م.
١٤ ـ منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل، منشورات اليونيسف ١٩٩٠م.
١٥ ـ د. منى الحديدي وعبدالمنعم الأشنيهي، سينما الأطفال في الوطن العربي بين الواقع والتطلعات، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة ١٩٩٠م.
١٦ ـ ميشيل شوسون، الطفل والتلفزيون، المعهد القومي الفرنسي للبحوث السمعية والبصرية، ترجمة المركز العربي لبحوث المستعمين والمشاهدين، اتحاد الاذاعات العربية، (بدون تاريخ).
١٧ ـ د. نادر وهبة وآخرون، الصورة الجانبية للمواطن البحريني في كتب الاجتماعيات، مركز البحرين للدراسات والبحوث، البحرين ١٩٩١م (غير منشور).
١٨ ـ هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، سلسلة عالم المعرفة رقم (١٠٦) ـ الكويت ١٩٨٦م.

ثالثاً ـ المراجع الأجنبية :

1 - Al-Jishi (bahia), The effect of television on Preschool Children's Social behavior, PHD Thesis, Boston University, 1988.

2 - Eudes (Ive), La Conquete des espirts, maspero, Paris 1982.

3 - Martin (Fowler), the effect of Television viewing on the make-believe play of first garders, California School of professional Psychology, PHD Thesis, 1984.

4 - Stahl; (Beian neal), effects of long - Term Viewing of Television Violence on Cognitive Physiological, and behaveioral responses to real life violence, Virginia State University PHD Thesis, 1984.

5 - Walker (Merle royse), The effects of video games and TV, film on subsequent agression in male adolesent, University of Southern Mississipi, PHD Thesis, 1984.

صدر من هذه السلسلة

العـــــــدد الأول : أوضـاع مؤسسات الرعـاية الإجتمـاعية ودورها في خدمة المجتمع العربي الخليجي «نافذ»

العـــدد الثـــاني : تشريعات العمـــل في الدول العـربية الخليجيـة ـ دراسة مقارنة ـ «نافذ»

العـــدد الثـــالث : رعـايـة الأحـداث الجانحين بـالـدول العـربيـة الخليجية «نافذ»

العـــدد الـــرابع : نحـو استخـدام أمثل للقـوى العاملـة الـوطنيـة بالدول العربية الخليجية «نافذ»

العـــــدد الخامس : دراسـات وقضايـامن المجتمع العـربي الخليجي «الأبحـــاث الفـائزة في المســابقــة الأولى للبحث الإجتماعي» «نافذ»

العـــدد الســـادس : حـول واقع إحصاءات القـوى العاملـة الوطنيـة المفاهيم ـ الأجهزة ـ التطوير «نافذ»

العـــدد الســـابع : الشباب العربي في الخليج ومشكلاته المعاصرة ـ دراسات مختارة ـ «نافذ»

العـــدد الثـــامن : واقع معدلات إنتاجية العمل ووسائل تطويرها «نافذ»

العـــدد التـــاسع : قضايا من واقـع المجتمـــع العـــربي في الخـــليج «تاخر سن الـزواج والمهور ـ الفراغ ـ المخدرات» «الأبحـاث الفـائزة في المسـابقـة الثـانيـة للبحث الإجتماعي» «نافذ»

العـــدد العـــاشر : ظاهرة المربيات الأجنبيات «الأسباب والآثار» «نافذ»

العـدد الحادي عشر : العمل الإجتماعي التطـوعـي في الـدول العـربيـة الخليجية مقوماته ـ دوره ـ أبعاده «نافذ»

العـدد الثـاني عشر : الحـــركة التعـــاونية في الخـــليج العـــربي «الواقع والآفاق» «نافذ»

العـدد الثـالث عشر : احصـاءات العمل وأهميـة النهوض بها في أقطـار الخليج العربية «نافذ»

العـدد الـرابع عشر : دراسـات وقضايـا من المجتمع العـربي الخليجي «الأبحـاث الفـائزة في المسـابقـة الثـالثـة للبحث الإجتماعي» الجزء الثالث «نافذ»

العدد الخامس عشر : مظلـة التامينـات الإجتماعيـة في أقطـار الخليج العربية «نافذ»

العدد السادس عشر : القيم والتحولات الإجتماعية المعاصرة (دراسة في الإرشاد الإجتماعي في أقطار الخليج العربية).

العـدد السـابع عشر : الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج العربية

العـدد الثـامن عشر : رعـاية المسـنين في المجتمعـات المعـاصرة «قضايا واتجاهات»

العـدد التـاسع عشر : السلامة والصحة المهنية ودورها في حماية الموارد البشرية

العـدد العشرون : أزمـة الخـليج .. البعـد الآخـر الآثـار والتداعيـات الإجتمـاعية

العدد الحادي والعشرون : التصنيف والتـوصيف المهني ودوره في تخطيط وتنمية الموارد البشرية.

العدد الثـاني والعشرون : دراسـات وقضايـا من المجتمع العـربي الخليجي «الابحـاث الفـائزة في المسابقـة الـرابعـة للبحث الاجتماعي» الجزء الرابع.

العدد الثالث والعشرون : واقـع وأهميـة تفتيـش العمل بين التشريـع والممارسة.

العدد الـرابع والعشرون : رعـاية الطفـولـة.. تعـزيز مسـؤوليـات الأسرة وتنظيم دور المؤسسات.

رقم الإيداع في المكتبة العامة
١٥٢٥ د.ع/١٩٩٤م

الطباعة بمطابع المؤسسة العربية للطباعة والنشر ذ.م.م ـ البحرين

المكتب التنفيذي

سلسلة الدراسات الإجتماعية والعمالية
سلسلة علمية متخصصة تعنى بنشر البحوث والدراسات الإجتماعية والعمالية
بدول مجلس التعاون الخليجي

ثمن الاشتراك في العدد :

في الدول العربية : للأفراد (٣,٥) دينار بحريني (١٠ دولارات أمريكية)
للمؤسسات (٧) دنانير بحرينية (٢٠ دولاراً أمريكياً)

في الدول الأجنبية : للأفراد (٥,٥) دينار بحريني (١٥ دولاراً أمريكياً)
للمؤسسات (١١) ديناراً بحرينياً (٣٠ دولاراً أمريكياً)

قسيمة الاشتراك

الاسم : _____

العنوان : _____

الاشتراك المطلوب : اعتباراً من العدد ( ) ولغاية العدد ( ) بواقع ( ) نسخة

مرفق شيك مصرفي بمبلغ : _____

يكتب الشيك باسم (المكتب التنفيذي) ويرسل مع قسيمة الاشتراك إلى:
المكتب التنفيذي - قسم الشؤون الإدارية والمالية
ص . ب : ٢٦٣٠٢ - المنامة - البحرين

* يرجى مراجعة الأعداد الصادرة ضمن هذه السلسلة في نهاية كل عدد.

هـذا العـدد

يتناول هـذا العدد إحدى القضـايا الأسريـة الأسـاسيـة التي أولاهـا مجلس وزراء العمل والشـؤون الاجتماعية بـدول مجلس التعاون الخليجـي المزيـد من البحـث والتقصي والاهتمام، وهي القضية التي يـدور محورهـا حـول تأثير وسـائل الاعـلام الحديثـة على التنشئـة الاجتماعيـة وتعـزيـز مسؤوليات الأسرة وتـأكيد دورها الجوهري في هذا الميدان.

لقـد استعـرضت الـدراسـة التي يضمهـا هـذا العـدد واقع الاعـلام عـالميـاً وعـربيـاً وخليجيـاً، كما تنـاولـت مفهـوم التنشئـة الاجتماعية وأبعادها وعملياتها في أقطار مجلس التعـاون الخليجي، إضافة إلى تركيـزها وبشكل خاص على التلفـزيـون ومـا يملكـه هـذا الجهـاز المدهش مـن سلطـان الصـورة وتأثيرهـا على أبنـاء الصورة، ومـا تطرحـه وتتوقعـه الدراسات المستقبلية من فرضيات واشكاليات عديدة في هذا المجال.